عبدالعزيز بن زيد آل داود

كتاب غيناء الإلكتروني

تحوّلات التّديُّن

في المجتمع السعودي

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

تحولات التديُّن

في المجتمع السعودي



الرياض ت: ٢٢٩٥١١٩ ف: ٢٢٩٥٠١٩
ghainaabook@hotmail.com

١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

المقدمة ٦

الجانب الأول: التدين..المفهوم والدلالة ١٣

مفهوم التدين ١٨

التدين: ظاهرة ٢٠

الجانب الثاني: تحولات الأمم من التدين: وقوف متكرر ٢٥

الجانب الثالث: التدين في المجتمع السعودي: ظواهر وتقلبات ٣٣

التدين في المجتمع السعودي؛ نظرة تاريخية ٣٤

المجتمع السعودي من التدين إلى الانفراط ٤١

ازدياد حالات العنف الأسري ٤٤

جرائم الأحداث والاعتداء على الأطفال ٤٩

السرقات والاعتداءات على الآخرين ٥١

انتشار المخدرات ٥٢

تهديد الكيان الأسري بالطلاق ٥٤

الانتحار ٥٤

المظاهر الشبابية والهزيمة النفسية والحضارية ٥٦

نهاية التدين في المال العام ٦٢

الجانب الرابع: تدين المرأة السعودية ٦٩

الجانب الخامس: المثقفون السعوديون والتدين: ٧٥

صراع الأفكار والجماعات ٧٦

الخاتمة

محاربة الإرهاب بمجافاة التدين ٨٧

المراجع ٩٥

مقدمة

ماذا نقصد بالتدين؟ وهل ثمة فرق بين الدين والتدين؟ هل التدين حالة وظاهرة؟ لماذا تجتاح العالم موجة من التدين؟ ماذا عن التدين في المجتمع السعودي؟ وكيف نعبر عنه؟ وما مظاهره؟ وماذا عن التدين في نواحي المجتمع الاقتصادية والتربوية وما يتعلق بالمرأة؟

كيف نفسر انتشار العنف الأسري وازدياد تعاطي المخدرات وتفشي العبث بالمال العام؟!

كيف نبرهن على ما تعج به الساحة الثقافية، والفكرية في المجتمع السعودي من حيث نزع التدين أو تثبيته؟!!

هل يمكن القول: إن للتدين بداية ونهاية، باعتباره «موجة»، و«ظاهرة»، و«حالة» لها عمر زمني تتألق فيه، وتنكمش، أو تبرز فيه ثم تنتهي؟!!

كيف نفسر تراجع الخطاب السياسي حول بعض المفاهيم

الإسلامية بدءاً من مصطلح «الأمة»، و«الدعوة» وشيوع مصطلح «العقيدة»، ثم «الدين» فـ«الإنسانية»؟!!

هل ثمة انتكاسة للتدين بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١م؟!! وما أبرز تلك التوجهات التي تجتاح المجتمع السعودي من أمثال: التنادي إلى «الليبرالية»، و«الديمقراطية» و«حرية الرأي والتعبير»، وتَشَكُّل جماعات فكرية (إخوان مسلمون، جامية، صوفية، سرورية، سلفية)؟، وهل ثمة خوف من تشكيل مجتمع الطوائف الشيعية، الإسماعيلية، النخليين؟!

وماذا عن تراجع الخطاب الوطني، وشيوع خطاب الـ «آل»، «القبيلة»، «الإقليم»، «المنطقة» و«المحافظة» على حساب بنية المجتمع كله؟!!

هذه تساؤلات نراها غاية في الجدية والخطورة، ولكنها ضرورية لنحاول الإجابة عليها، ونرصد حيالها بعض الظواهر التي تدعو للقلق، والتأمل، وإعادة التساؤل، وتكرار التفكر، وإجالة النظر حيالها. هل الخوف من تعاطيها، وتداول النقاش حولها فيه مبالغة وتخيل؛ أم أن هناك إرهاصات تنبئ عن أن ثمة ما يجعل منها أسئلة مشروعة

حقيق أن نكثر؟ النقاش والرؤى إزاءها؟!!

تتناول هذه الدراسة رؤية مقاربة للتدين وأبرز ظواهره عبر مقدمة وخمسة جوانب على النحو التالي:

الجانب الأول: التدين .. المفهوم والدلالة.

ونرصد فيه التفريق بين مفهومين مختلفين، هما: الدين، والتدين، لغة واصطلاحاً. وهل يعد التدين ظاهرة، ولماذا؟ وماذا يقصد بمفهوم التدين ؟

الجانب الثاني: تحولات الأمم من التدين؛ وقوف متكرر. وتأتي الدراسة فيه على أبرز المحطات التي أوصد فيها الباب أمام الدين والتدين، وانعكاسات مثل هذه الرؤية على المجتمع الإنساني والغربي على وجه الخصوص، ثم العودة الجامحة للتدين باعتباره قيمة اجتماعية لا بوصفه تصديقاً بوحي أو رسالة، وإنما لما له من أثر بارز على الحياة الاجتماعية. ثم كيف استخدم هذا التدين لفرض رؤى سياسية بغيضة كما حصل في العراق وكما عبر عن ذلك قادة العالم في وقته بأنه من مشيئة الله وفعله.

الجانب الثالث: التدين في المجتمع السعودي؛ ظواهر وتقلبات. تناولت الدراسة فيه قراءة تاريخية لمسيرة التدين؛ وتعالق المجتمع السعودي مع التدين وصيرورته التي آل إليها، وبالذات ما يتفاعل معها مجتمعياً في ظل عدم الجدية في إيجاد الحلول السريعة. ولعل أبرزها - في رؤية الكاتب - العنف الأسري، وانتشار الطلاق، وجرائم الأحداث، والسرقات والمظاهر الشبابية، وازدياد حالات الانتحار، وتهاون الناس بالمال العام، وعدم الجدية في احترام ذلك (دينياً، وقانونياً، أو نظامياً)، وتسابق الجميع على الإثراء غير المشروع، وارتهان العقل السعودي لسطوة المال وسوقه المنهارة.

الجانب الرابع: تدين المرأة السعودية، ويأتي على التناوش الشديد على المرأة السعودية وضرورة إزالة جميع الحواجز دون ظهورها في كل محفل نتيجة الاستلاب الحضاري الذي يعيشه العقل السعودي، وفي ظل الارتهان للرؤية الغربية حيال المرأة، دون النظر لمبادئ الشريعة، أو واقع المجتمع، وعاداته، وتقاليده، وقد تسابق كتاب، ووسائل

إعـلام لهذه المهمة بشكل خرج عن كل أعـراف للبلد، أو تشريعاته، أو أنظمته، في ظل عدم وجود من يحاول فقط التنبيه على أن في الوطن نظاماً إعلامياً رادعاً وتشريعات، ومواثيق شرف، تسعد بها أدراج المكاتب فقط.

الجانب الخامس: المثقفون السعوديون والتدين، وجاء الحديث عما يعيشه المجتمع السعودي من أفكار جديدة بعد أحداث الخليج في العقد الماضي، وأحداث الحادي عشر من سبتمبر، وتعالي أصوات الليبراليين، والعلمانيين لتجديد رؤية مفكري الوطن، وعدم الركون إلى السائد، أو الماضي، أو حتى الأخذ بالدليل الشرعي والرجوع إليه، وهو ما تؤسس عليه البلاد رؤيتها الحضارية ؛ إضافة إلى أسباب تراجع التدين في الخطاب السياسي، والإعـلامـي، وكيف كانت المعالجة المؤدلجة السبب في انحسار موجة التدين.

الخاتمة: وأتت على ضرورة تبني استراتيجية للدولة تؤسس لمرحلة جديدة تدعم التدين مصحوبة بخطة إعلامية، ودعوية، وإرشادية، كما تؤكد الدراسة أننا سوف

نحتاج إلى مواجهة هذه المعضلة بإنفاق مالي فائق يمكن من خلاله أن يعاد للمجتمع تدينه وسمته العام قبل أن يخسر ثروته المهمة والمستقبل، وأخص الشباب من أبناء هذا الوطن.

الجانب الأول:

التدين: المفهوم والدلالة

التدين: لغة

التدين: اصطلاحاً

مفهوم التدين

التدين ظاهرة

الدين والتدين مصطلحان مختلفان، فالدين وحي، ورسالة، وبعثة، ونبوة. والتدين حالة، وظاهرة، وموجة لها بداية وتحولات.

أما الدين فهو الإسلام، قال سبحانه:﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾.

(آل عمران:١٩).

وقال جل وعلا:﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

(آل عمران:٨٥).

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾.

(المائدة:٣).

هذا هو الدين الذي نؤمن به ونعتقده وندعو إلى التمسك

به في كل مجال، إذ هو الدين الكامل «ومن لوازم هذا الكمال أن يكون هذا الدين ذا شمولية مطلقة، شمولية الزمان (من بعثة محمد عليه الصلاة والسلام إلى قيام الساعة) وشمولية المكان (في أي بقعة في هذا العالم) وشمولية الموضوع (شؤون الدين والدنيا معاً). وفق هذا يسوغ لنا القول بأن دين الإسلام هو منظومة من الأحكام والتشريعات يجمعها عقد واحد؛ فهذا نظام العقيدة والفكر، وذاك نظام العبادة، وذلك نظام المعاملات؛ إضافة إلى أنظمة أخرى كنظام الأخلاق والاجتماع، والسياسة، والإدارة.. وهلم جرا. وذلك مما يؤكد أن الإسلام منهج حياة شامل وكامل».[1] وقد رأينا التأكيد على هذا الأمر حتى لا يظن أحد أننا نرمي إلى ثوابت الدين أو نروم التلاعب بالألفاظ والعبارات.

يقول الدكتور الذهبي - رحمه الله - إن مفهوم التدين: «هو التمسك بعقيدة معينة، يلتزمها الإنسان في سلوكه،

(١) د. عبد الله بن إبراهيم الطريقي، النظام السياسي للسعودية، ص١١، دار غيناء للنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

فلا يؤمن إلا بها، ولا يخضع إلا لها، ولا يأخذ إلا بتعاليمها، ولا يحيد عن سننها وهديها، ويتفاوت الناس في ذلك قوة وضعفاً، حتى إذا ما بلغ الضعف غايته، عد ذلك خروجاً عن الدين وتمرداً عليه»[1].

ويقول الكاتب نادر المتروك معرفاً التدين بأنه: «الجهد البشري الاجتهادي. الجهد التديني، ولأنه بشري، يمكن أن يكون صاعداً متقدماً مبدعاً متلائماً مع العصر وأسئلته، ويمكن أن يكون العكس من ذلك. هذا الجهد التديني، ولأنه اجتهادي، فهو قد يصيب وقد يخطئ، قد يُراعي قواعد الاجتهاد الزمكانية، وقد يكون تقليداً مجترّاً من الآخرين»[2].

ويعرف الدكتور صلاح عبد المتعال «التدين» «بأنه نمط سلوكي وأسلوب حياة، بغرض التمسك والالتزام بأفكار المعتقد الديني وتعاليمه تجاه الخالق والمجتمع، إذ

(١) الدين والتدين. محمد حسين الذهبي، مجلة البحوث الإسلامية، السعودية، العدد الأول، ١٣٩٥هـ.

(٢) في مقالته: «نهاية التدين وما بعد التدين» انظر: صحيفة الوقت، البحرينية، العدد ٤٥٩ – الجمعة ٨ جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ – ٢٥ مايو ٢٠٠٧ .

يتميز بالإرادة لتعديل السلوك استجابة لمضمون العقيدة الدينية»[1].

والدراسة التي أجراها مركز أسبار للدراسات والبحوث والإعـلام في السعودية ونشرت عام ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، قدمت وصفاً للمتدين ولم تشأ أن تقدم تعريفاً للتدين نفسه رغم أنها دراسة جادة وبنيت على أسس علمية رصينة، تقول الدراسة في وصف المتدين:

«المتدين هو الذي يأتي «بالسنن والنوافل من العبادة» بالإضافة إلى الفروض، وفي الفقه الإسلامي فإن السنن والنوافل تعد شعائر إضافية ومكملة للفروض يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها؛ ما يعني أن من يمارسها «بانتظام» لا بد أنه أكثر تديناً ممن لا يمارسها أو من يقصر إتيان العبادة على الفروض فقط»[2].

---

(١) التدين الجديد، وسام فؤاد، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، ص ٧٠-٧١.

(٢) تدين السعوديين. دراسة أعدها مركز أسبار للدراسات والبحوث والإعلام عام ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م الجزء الأول.

مفهوم التدين:

واستنباطاً مما جاء ذكره، فإن المفهوم الذي يعنيه الباحث هو: «**توجه المجتمع بأغلبه إلى التمسك بالدين ومحاولة تمثله في جميع مناحي الحياة، والاستمرارية في صبغ الحياة السياسية، والفكرية، والاجتماعية، والإعلامية، والاقتصادية بالصبغة الإسلامية التي تراها الأمة مجتمعة**».وما دام الأمر كذلك، فإننا لا نتوجه في البحث عن أركان الدين وثوابته، ولكن نبحث عن الحالة العامة التي تسود المجتمع والتي تأتلق تارة ثم تأفل تارة أخرى لعامل داخلي، أو خارجي، أو لنشوء مشكلة، أو ظاهرة تستدعي وقوف المجتمع كله حيالها، لصدها ولمعالجة عوامل نشوئها، لكن هذه المعالجة لها آثار عكسية قد تبدو غير محسوبة، وقد يستغلها طرف انتهازي لتمرير رأيه والإفادة من حالة التوحش التي تعم المجتمع كله؛ فيقدم أفكاره البديلة بروح فيها جرأة، ويعد أجندة خاصة به تبدأ من الظاهرة التي يراد علاجها؛

ولكن بحث المجتمع كله عن حلول يدفع أولئك إلى تمرير آرائهم بقوة وجرأة وجلد، وهكذا كان.

والمجتمع السعودي كالمجتمعات العربية والإسلامية، ذو عقيدة ومسلك في عمومه، يدعو إلى الاعتزاز والفخر وإلى التمسك بمبادئ الإسلام وضوابط الشرع، محافظ على العبادات وأركان الإسلام، لكن هذا لا يشير إلى أنه في كل حركاته منضبط بقيم الإسلام وهديه المتين. خلاصة ما نقصده هو أن هناك أشكالاً من التدين، تبرز بشكل لافت في مرحلة من المراحل، ثم تأفل بسبب خارجي، أو داخلي كما أسلفنا، ثم تعود إلى الظهور في شكل آخر وقد أعدت لنفسها منطلقاً جديداً.

ومصطلح التدين الذي تقصده الدراسة هنا هو حالة التدين في المجتمع، وإيمان المجتمع بالفكرة الإسلامية، ومنهج الإسلام العام ونظام الحياة، وسمَا المجتمع كله بهذه الصفة الكريمة. والأصل أن الناس ملتزمون بالدين وثوابته ونظمه، لكن الموجات العارمة التي تمر على المجتمع من اتخاذ للتقدمية، أو العلمانية، أو الليبرالية منهج حياة في

السياسة، والفكر، والثقافة، هي ما يعرقل مسيرة التدين في أي مجتمع.

وهنا لا بد من توضيح أن وصف المجتمع بالمتدين لا يحكم فيه على كل فرد بقدر ما ينظر إلى الاتجاه العام للمجتمع من حيث ميوله ورغباته ومنطلقاته وأهدافه وغاياته.

التدين: ظاهرة

جاء في المقدمة سؤالٌ عن التدين: هل يعد «ظاهرة» أو «موجة»، أو «حالة» لها عمر زمني، تتألق فيه ثم تنكمش، أو تبرز فيه ثم تنتهي؟

وبناء على التعريف الذي اختاره الباحث فإن التدين يُعدّ ظاهرة، والذهبي - رحمه الله - هو أول من أطلق وصف «ظاهرة اجتماعية» على التدين في بحثه المشار إليه سابقاً؛ يقول رحمه الله: «إن ظاهرة الدين والتدين ظاهرة عامّة، تشترك فيها كل الجماعات البشرية على مدى تاريخها الطويل، وعلى اختلاف ما بينها من بداوة وحضارة، وتخلف وارتقاء»[١].

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، السعودية، العدد الأول، ١٣٩٥هـ، مرجع سابق.

ويعبر عبد المتعال بأنه - أي التدين -: «عملية اجتماعية يـؤدي انتشارها وعموميتها إلـى اتخاذ شكل الظاهرة، بشروط نشأتها وتطورها، فضلاً عن العمومية، مثل: القهر، والإلــزام، والتأثير المتبادل، مع الظواهر الاجتماعية الأخـرى، السياسية والاقتصادية والتربوية، والأسرية، والمناخ الثقافي السائد. وهي مثل غيرها من العمليات والظواهر الأخـرى، تمضي عليها سنن التغير الاجتماعي وقوانينه، وتتأثر بالأبعاد المكانية والزمانية والثقافية، وحركة المجتمع في تقدمه أو تخلفه»(١).

ويؤكد نادر المتروك في مقالته: «أن التدين محل أيضاً للنهايات.. لا شك أن الحديث الإمكاني عن أنواع مختلفة من التدين وحصول تحولات واقعية في سيرة التدين والمتدينين؛ يؤيد القول بهذا الرأي ولكن الدقة تتطلب القول بأن ثمة نهايات لتدين معين، أي لشكل محدّد من أشكال التدين ولمرحلة ما من مراحل التدين ولا يمكن المجازفة

(١) التدين الجديد، وسام فؤاد، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م، ص ٧٠-٧١.

وتقرير تحولات التدين مطلقاً»[١].

وبهذا الوصف فالتدين له وضوح في منطقة أو بلد معين، يتركز فيه أكثر من غيره ويكون سمة للبلد وأهله، وقد يكون أقل في بلد آخر غير متدين، ويرجع ذلك إلى تمسك الناس أجمعين بأهداف الدين الكلية وتمسكهم به ظاهراً وباطناً. وقد يلحظ الراصد أن هناك حركة تدين في أفراد المجتمع وبعض مناطق الأمة، كما يقول توني بلير: « لا ينحسر التدين مطلقاً. ربما يكون في انخفاض في بعض المناطق، وليس في جميع أنحاء العالم. بل قد ينمو في بعض الأنحاء»[٢].

وإذن فإن القصد: أن التدين ظاهرة ربما تعلو في علم

---

(١)في مقالته «نهاية التدين وما بعد التدين»، انظر: صحيفة الوقت البحرينية، العدد ٤٥٩ - الجمعة ٨ جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٥ مايو ٢٠٠٧.

(٢) أشار إلى ذلك توني بلير - رئيس وزراء بريطانيا السابق - في محاضرته التي ألقاها في جامعة ييل الأمريكية، عنوانها العقيدة والعولمة. وبالمناسبة فقد أنشأ بلير مؤسسة أطلق عليها مؤسسة توني بلير للعقيدة!! ونشرت أجزاء من المحاضرة جريدة الشرق الأوسط في عددها (١٠٩٨٠) السبت ٢١ ذو الحجة١٤٢٩هـ الموافق ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٨م.

بعينه، أو تضعف في آخر. وربما تتألق في ناحية من النواحي، وربما تقل، وكل له سببه. وخلاصة كل ذلك أنه قد يزداد في منطقة وقد ينخفض في منطقة أخرى كما يزداد في منهج علمي ومساحة زمنية.

الجانب الثاني:

تحولات الأمم من التدين: وقوف متكرر

عبر تاريخ فكري طويل؛ تم رصد تحولات كبيرة للأمم من الدين كثابت، والتدين كحالة وظاهرة. وفي أدبيات الأمم كافة ما يشير إلى شيء من الجفوة الدينية امتدت عقوداً من الزمن ما لبثت أن عادت إلى تدينها الحقيقي، وإن بدرجات متفاوتة عبر أزمنة وأمكنة مختلفة.

وعادة، التدين يبدأ من الفكر، ثم الحياة المعيشة (اقتصاداً، وتربيةً، وإعلاماً، واجتماعاً)، ثم السياسة. ورغم أن المجال السياسي والدبلوماسي يأتي متأخراً، إلا أن تلازم التدين لا الدين بالسياسة مع الأسف الشديد جاء بمرارات للدول والشعوب على حد سواء. قلنا: التدين لا الدين؛ لأن التدين نابع من نظرتنا وسلوك حياتنا وفهمنا لتديننا، أما الدين فهو أصيل نبيل بقيمه، وثوابته، ونظامه المتقن للحياة.

وما سنستشهد به من براهين ساقها مفكرون،

وإعلاميون، ومثقفون، وسياسيون، دليل ناصع على ما نقول. فمنذ أن قال «فولتير» إن فكرة «التأليه» اخترعها دهاة ماكرون لقوا من يصدقهم من الحمقى والسخفاء، إلى أن قال الدكتور «ماكس نورده» عن الديانات إنها ستبقى ما بقيت الإنسانية، وتتطور بتطورها، وستتحارب دائماً مع درجة الثقافة الفعلية التي تبلغها الجماعة، ثم ما يؤكده «أرنست رينان» أنه من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين.

وحتى «كانط» الذي كان يتنبأ بأن فناء الديانات سيكون هو النهاية الحتمية لتقدم العلوم، قد عاد في آخر أمره متصوفاً عجيباً.

وقد عالج المفكر الأمريكي «فوكوياما» البعد عن الدين في مكان من أوروبا وأمريكا واليابان حيث لم يستمر طويلاً بل عاد الناس بعده إلى الالتزام بالقيم الضرورية لكل مجتمع إنساني، يتفاءل الكاتب بأن هذا سيحدث بل يرى أنه بدأ يحدث فعلاً. «وكلما كان للدين تأثير في إعادة بناء المجتمع في الماضي، يتوقع أن يكون له تأثير الآن، لكن الرجوع إلى الدين هذه المرة لن يكون رجوعاً إلى

التصديق بالوحي، بل سيكون رجوعاً إليه بسبب تأثيره الحسن على الحياة الاجتماعية»[١].

وقد شهد النصف الثاني من القرن العشرين صحوة دينية مرت بمراحل متطورة حتى بلغت ذروتها في الألفية الثالثة في المجتمعات الغربية والمجتمع الأمريكي على وجه الخصوص.

وكان سبب ذلك الطفرة التكنولوجية الكبيرة التي شهدتها الحضارة الغربية ونزوع أفرادها إلى المادة، مما أنتج فراغاً روحياً وفوضى عارمة في الأخلاق والقيم. هذه النزعة المادية أحدثت اضطراباً في الفطرة الإنسانية التي تبحث دائماً عن إجابة لسبب وجودها، وبالتالي اللجوء إلى الدين كواحد من أهم أسباب النجاة من هذا القلق النفسي والاضطراب الفطري. وتبعاً لذلك ظهرت الجماعات الدينية، ونشطت المؤسسات الدينية التي نادت بالعودة إلى القيم النصرانية السائدة في المجتمع الأمريكي في النصف الأول من القرن العشرين.

(١) د. جعفر شيخ إدريس، علاج الانفراط العظيم، مجلة البيان، عدد شعبان ١٤٢٠هـ.

«وإن كان هذا الشعب، وفي مقدمته الساسة والمفكرون والإعلاميون، يرى أن العودة إلى الدين حق من حقوقه، فإن الذي ليس من حقه بالتأكيد أن يحاول تصدير هذه «الصحوة» إلى المجتمعات الأخرى، وأن يحارب الأديان الأخرى، وأن يفرض رؤيته الدينية التي يسميها تجاوزاً «الثقافية» على الشعوب الأخرى، وأن ينشط التيار الأصولي الإنجيلي الأمريكي في استعداء الحكومات الغربية والرأي العام الغربي على الدول التي تخالفه هذه الرؤية»[١].

يقول زين العابدين الركابي المفكر الإسلامي في مقالة بعنوان(عمى استراتيجي) أيضاً: «معاداة الإسلام طريق لرئاسة أمريكا!! حول تأثير التدين على الفعل الدبلوماسي أو (الاستغلال السياسي الغليظ للدين)كما يوصف. قال الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن: «إنه سمع هاتفاً إيمانياً يهتف به: جورج، اتخذ قرار الحرب على العراق»! وقال توني بلير رئيس الوزراء السابق: «لقد دخلت في صراع مع ضميري حول مشاركة الولايات المتحدة في

(١) عبدالعزيز آل داود، الإصلاح المجتمعي، العودة إلى الدين في المجتمعات الغربية، ص ص ١١٤ - ١١٨، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ، دار غيناء للنشر.

شن حرب على العراق، ولقد استلهمت العقيدة فأيقنت أن قرار الحرب على العراق هو من مشيئة الله وفعله»[١].

العودة إلى الدين والتدين في المجتمعات الغربية ظاهرة ملحوظة وهي لا تشمل حركة المجتمع وحدها، ولكن التدين حاضر في السياسة، والإعلام، والفكر، والثقافة، وفي كل مفاصل الحياة الغربية.

ورغم أن بعض مفكريهم يعده تهديداً حقيقياً لليبرالية كما يقول فوكاياما،(بل إنه يذهب إلى أبعد مدى عندما يصف حركة المجتمع نحو الدين بأنه للأثر الإيجابي الذي يحدثه على الحياة الاجتماعية، بمعنى أنه ليس تصديقاً بالرسالة السماوية ولكن للإيجابية التي يتمتع بها، كما يرى أيضاً أن التطبيق لبعض القيم يبدو عسيراً مع أنها لازمة للمجتمع، لكن الناس لا يُعطون الفرصة الكافية للتكيف مع مبادئ المثل الدينية؛ مما يتسبب معه في نتائج سيئة على المجتمعات)[٢].

ومنذ انهيار الشيوعية التي ترى أن الدين «أفيون

(١) الشرق الأوسط، السبت،٢صفر ١٤٢٩هـ ٩فبراير ٢٠٠٨م، العدد ١٠٦٦٥.

(٢) جعفر شيخ إدريس، علاج الانفراط العظيم، مجلة البيان، عدد شعبان ١٤٢٠هـ.

الشعوب» فإن العالم الغربي متوجه بأكمله - رغم محاولات التوقيف التي يقودها بعض الساسة والمثقفين - إلى التدين بشكل ملفت للنظر، بينما نرى تراجعاً في ظاهرة التدين في عالمنا العربي والإسلامي، نتيجة الضغط الرهيب الذي يمارسه الغرب المسيحي علينا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. وما يمارسه إعلامنا بكل وسائله الذي استباح كل قيمة ونحرها من الوريد إلى الوريد بدعوى محاربة التطرف، والتشدد، والغلو. لكن توجه الأمة قد انصرف بكليته، نتيجة الإعلام المكثف على قيم ومبادئ الأمة، إلى ما يمكن أن نطلق عليه الوقوف المتكرر لمسيرة التدين خصوصاً في المجتمع السعودي.

الجانب الثالث:

التدين في المجتمع السعودي: ظواهر وتقلبات

التدين في المجتمع السعودي؛ نظرة تاريخية

المجتمع السعودي من التدين إلى الانفراط

نهاية التدين في المال العام

التدين في المجتمع السعودي؛ نظرة تاريخية:

منذ تعاهد الإمامان الكريمان محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب - رحمهما اللّه - على نصرة بعضهما بعضاً في إرساء قواعد الدين، وإنهاء الاقتتال في الجزيرة العربية قبل توحيد الدولة السعودية، وإشاعة الوئام، ومحاربة مظاهر الشرك، والعودة بالمسلمين إلى الحياة التي كان عليها رسولنا الكريم ﷺ، وخلفاؤه الراشدون رضوان اللّه على الجميع، والتدين ينتشر حتى شمل الجزيرة العربية بأكملها.

ثم جاء الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن - طيب اللّه ثراه - مؤسس الدولة السعودية الثالثة، فأرسى دعائم الدين الإسلامي، وبدأ يقود بلاده المملكة العربية السعودية إلى بداية دولة المؤسسات الشرعية النظامية، ولكنه

واجه أيضاً بما سمي بحركة الإخوان منذ عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م)، التي سببت له متاعب سياسية وحاولت مجابهة كل أساليب التحديث للوطن، لكنه قابل ذلك بإنشاء الهجر، وتوطين البدو، والاستعانة بالدعاة والوعاظ (المطاوعة) لتعليم الناس أمور دينهم، وما فرض عليهم من العبادات والفرائض.

عقد الملك عبد العزيز سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٩م)، مؤتمر الرياض للنظر في هذه الأمور، حضره كبار أمراء القبائل والعلماء، وبعد أن حسمت الأمور العسكرية في الإحساء والحجاز وجدة وحائل، قاد الملك عبد العزيز معركة الحسم مع هؤلاء فيما يسمى معركة السبلة في ١٩ شوال ١٣٤٧هـ (٣٠ مارس ١٩٢٩م).

ولعل القارئ يلحظ أن الحوار الطويل والممتد زهاء عشر سنوات كان هدفه إعطاء هؤلاء الإخوان السعوديين مهلة مراجعة خطابهم ومطالبهم التي تتعارض مع مشروع الملك عبد العزيز - رحمه الله - لتحديث الوطن، وتطويره، وبنائه بما لا يخالف مبادئ الشريعة.

وهذه الخطوة التدينية الأولى التي قوبلت برفق إبان

تأسيس الدولة السعودية الثالثة تكررت مرة أخرى بما سُمي فيما بعد (حركة جهيمان) والتي انطلقت شرارتها الأولى يوم الثلاثاء ١٤٠٠/١/١هـ، باحتلال الحرم المكي الشريف، واستمرت زهاء سبعة عشر يوماً إذ أعلن يوم الخميس ١٤٠٠/١/١٧هـ، تطهير المسجد الحرام وفتحه أمام المصلين بحضور الملك خالد بن عبد العزيز – رحمه الله –الذي أمر بإجراء صيانة وإصلاح للمسجد الحرام. وفي يوم الجمعة التالية ١٤٠٠/١/١٨هـ شهدت صلاة الجمعة أكثر من «١٥٠» ألف مصلٍ ابتهاجاً بالقضاء على هذه الفئة التي أرادت تحقيق مطالبها بالقوة المطلقة.

لكن قبل هذا الحدث كانت قد واجهت المملكة العربية السعودية في عهد الملك فيصل – رحمه الله – حملة شعواء قادها القوميون، والشيوعيون، واليساريون، وصفوا فيها السعودية بالرجعية والتخلف والتزمت؛ وإزاء ذلك قام الملك فيصل بدعوة إلى التضامن الإسلامي مستعيناً بخبرات وكفاءات من علماء المسلمين، من مصر وسورية والعراق على وجه التحديد، انطلقت معهم بالتصور السعودي للتضامن الإسلامي ونهضت به الكفاءات والمؤسسات

الإسلامية العالمية مثل: (منظمة المؤتمر الإسلامي)، و(رابطة العالم الإسلامي)، و(الندوة العالمية للشباب الإسلامي) والجامعات السعودية، خصوصاً جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة الملك عبد العزيز، وكلية الشريعة في مكة المكرمة. ورغم أنه في عهد الملك سعود وفيصل - رحمهما الله - كان هناك انفتاح ملحوظ في الإذاعة والتلفزيون إلا أنه بعد أحداث جهيمان عام ١٤٠٠هـ، خف هذا الانفتاح واتجه المجتمع برمته إلى التدين العميق الذي شمل مفاصل المجتمع كله، خصوصاً في التلفزيون، ونشطت توجهات أسلمة المعارف الإسلامية وإقامة المؤتمرات العلمية الإسلامية، وظل النشاط الإسلامي هو المسيطر والمهيمن على حركة الثقافة، والفكر، ومناهج التعليم، والاقتصاد، والتربية، والتعليم.

وعقب سنوات منحت المجتمع السعودي جواً من السمو الفكري، والصفاء العقدي، جاءت سنوات زخرت بالتقلبات السياسية الخطيرة - الثورة الإيرانية، الحرب العراقية الإيرانية الأولى، الحرب الأفغانية الروسية، حرب تحرير الكويت، والحرب العراقية الأمريكية الأخيرة واحتلال

غَينـاء للنشـر
Ghainaa Publications

العراق (فالثورة الإيرانية عام (١٩٧٨م)، ومحاولة تمدد المذهب الشيعي، والحرب الروسية الأفغانية أبرزت مهمة مواجهة التمرد الشيوعي. والحرب العراقية الإيرانية كانت في ذات الاتجاه، وأحداث الحرم من قبل الحجاج الإيرانيين عام ١٩٨٧م أدت كلها إلى مزيد من التوجه الإسلامي. وعلى الرغم من ذلك جاءت أحداث التكفير والتفجير وبداية أعمالها العنيفة ضد الدين والمجتمع والدولة في مدينة الرياض عام ١٤١٦هـ، والذي استمر مسلسله البشع حتى نهاية عام ١٤٢٦هـ، وطال أذاه وبشاعته ودمويته آلافاً من مدنيين، وعسكريين، ومتعاقدين وأشغل الدولة والمجتمع)[١]، وجاء متزامناً مع أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م أو سابقاً له ومهيئاً له.

هذه القضايا الكبرى التي عاشتها البلاد خصوصاً منذ بدء أعمال التفجير عام ١٤١٦هـ؛ (حادث تفجير مجمع العليا) وما ترافق أو تلا أحداث الحادي عشر من سبتمبر، جاءت بالويلات على التدين وامتد رواق التشكيك، والتجهيل،

---

(١) انظر: محمد العوين، «نحن في مواجهة متطرفين: تكفيري ظلامي، وليبرالي تغريبي» جريدة الجزيرة العدد ١٣٢٧٢، تاريخ الخميس ٣ صفر ١٤٣٠هـ ٢٩ /١/ ٢٠٠٩م.

وسارع الليبراليون السعوديون إلى إطلاق أوصاف التخلف على مسيرتنا الدينية، والتنموية؛ وهو ما عبر عنه الدكتور تركي الحمد بقوله: «إن المجتمع السعودي فقد ٣٠ عاماً من عمره. وهي الفترة الواقعة بين حادثة جهيمان وأحداث الحادي عشر من سبتمبر، لقد تراجعنا كثيراً خلال هذه السنوات عما كنا عليه»[١].

نعم لقد عاش المجتمع السعودي جواً من التدين لا نظير له ارتقى فيه إلى قمة المسؤولية نحو قضايا المجتمع والأمة على حد سواء. ويمكن أن نحدد بعض مظاهر هذا التدين بما يلي:

- نشاط المؤسسات الإسلامية العالمية التي ترتبط بالمملكة العربية السعودية أمثال: رابطة العالم الإسلامي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، والمنظمات والمؤسسات المنضوية تحت إدارتها.
- ازدياد مؤسسات العمل الخيري وتعدد اهتماماتها.
- قيام المؤسسات التعليمية والجامعية بأسلمة كاملة

(١) الوطن السعودية العدد ٣٠٥١، الخميس ١٠ صفر ١٤٣٠هـ، الموافق ٢٠٠٩/٢/٥م.

للمعارف والعلوم (الإعلام الإسلامي، الاقتصاد الإسلامي، وسواهما).

- التوسع في توزيع الكتاب الإسلامي، وتشجيع التأليف في ذلك.

- المؤسسات التربوية: مدارس تحفيظ القرآن الكريم، حلقات تحفيظ القرآن الكريم في المدارس والجوامع.

- النشاطات الاجتماعية للجامعات السعودية: المخيمات الطلابية، مخيمات الحج، مخيمات النفع العام للمجتمع.

- ازدياد المحاضرات والندوات في كل مدرسة ومعهد ومحافظة ومدينة.

- التوسع في افتتاح المعاهد العلمية داخل المملكة وخارجها.

كل تلك النشاطات كان لها دور إيجابي في تعزيز صورة المملكة العربية السعودية في الخارج بالإضافة إلى ما تعمل عليه القيادة السياسية من دعم التوجه الإسلامي والتضامن الإسلامي في كل المحافل الدولية، وهو بحق دور له تقديره واحترامه وإجلاله. لقد دعم مسيرة التدين في السعودية توجهات ثلاثة بارزة هي:

أولاً: بذل مؤسسات الدولة المختلفة جهدها الفائق دعماً لتدين الناس.

ثانياً: توجه المجتمع وأبنائه إلى التدين لما له من أثر بالغ على سلوكهم العام ولما وجدوه فيهم من طموح وتميز بعد تدينهم.

ثالثاً: تدين الخطاب الرسمي للدولة (إعلامياً وتربوياً وسياسياً)، ربما رغبة في مواجهة الأحداث الطارئة آنذاك.

المجتمع السعودي من التدين إلى الانفراط:

أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وأحداث التفجير والتكفير التي جاءت سابقة عام ١٤١٦هـ أوصدت الباب أمام مسيرة التدين، وحركته الفكرية والعلمية، نتيجة الضرورة القصوى في محاربة الغلو، والتشدد، والتطرف الذي بدأ بشكل لافت يستخدم القتل، والتفجير، والتهديد، والتكفير، ونشط في استخدام الإنترنت ووسائل الاتصال، واستخدام كل أدوات التحريض على مقدرات الوطن، وقيمه، ومُثُله، وثروته، واستهداف أبنائه بالتغرير بهم وزجهم في أتون

المعارك، والصراعات الفكرية، والوطن وأبنائه في غير حاجة إليها.

إن أخطر منطقة يبرز فيها «التدين» من عدمه هي حراك المجتمع وتفاعله مع بعضه؛ حيث تبرز من خلال المعاملة والمعايشة قضاياه المسكوت عنها، أو التي يراد السكوت عنها لما يترتب عليها من آثار أخرى تحتاج إلى حلول صارمة، وقوية، ومتواصلة.

قضايا المجتمع لا يمكن تأجيلها بحجة أنها غريبة عن مجتمعنا المسلم أو أنها ليست ظاهرة في المجتمع بعد، ثم نتوارى سنين طويلة وإذا المسكوت عنه ليس قضية وإنما طوفان ربما يأخذ المجتمع كله إليه. **ومشكلتنا الأزلية أننا نحفل بالتدين المظهري، ولا نكترث بالتدين السلوكي أو حتى «أعمال القلوب»، كان بوسعنا أن نتنبأ بمثل هذه القضايا لو أن مؤسساتنا الرسمية تعمل وفق رؤية للمستقبل لا تأدية لوظيفة، لا بل لو أننا نعمل وفق أجندة وطنية واضحة ؛ لأصبحنا أكثر جرأة في التنبه لما سيكون عليه مجتمعنا من تفكك، ونقص في التدين، وامتلاء بالمعضلات**

الاجتماعية التي بالطبع تعرقل مسيرة التنمية والتدين أيضاً. لقد نجحنا «أمنياً» على الأقل في التصدي للإرهابيين - وهم كثر - ولكن لم ننجح في أن نتصدى لقضايا مجتمعنا بكل هدوء وروية.

في سعينا للمعالجة برزت ظواهر أخرى غير مرغوب بها خرجت إلى السطح تؤذن أيضاً بمراجعة أخرى لمسيرة التدين ومنها:

- ازدياد حالات العنف الأسري.
- انتشار المخدرات.
- السرقات والاعتداءات على الآخرين.
- تهديد الكيان الأسري بالطلاق.
- المظاهر الشبابية والهزيمة النفسية والحضارية.
- جرائم الأحداث والاعتداء على الأطفال.

هذه القضايا بكل تأكيد سوف تسهم في إحداث تحول في مسيرة التدين والإصلاح المجتمعي، والأرقام التي تركن إليها هذه الدراسة تعطي مؤشرات للخلل الواضح والفشل - لا نقول التام - في التصدي، ولكن تدعونا إلى الجدية

لدراسة قضايانا برؤية علمية أصيلة؛ تلزمنا التأمل في مختلف جوانبها حتى نبصر مواطن الزلل، خصوصاً أننا نرصد تحولات التدين في المجتمع السعودي.

ودعونا نؤكد ابتداءً أن هذه الظواهر لم يرصدها «المتدين»، وإنما تصدى لها ناشطون في الحقول العلمية والاجتماعية، لكن ظلالها شملت بكل تأكيد التدين ومسيرته المتوقفة.

ازدياد حالات العنف الأسري:

تزايد الاهتمام بالعنف الأسري على المستوى الاجتماعي والرسمي لتعدد أوجه المعاناة، وبدأت عناية أكبر لخطورته (أسرياً واجتماعياً)، وتقود المؤسسة الرسمية والوطنية جهوداً كبيرة وتبذل عدة محاولات في هذا الشأن[١] لعل أبرزها:

- برنامج الأمان الأسري الوطني.
- مشروعات وزارة الشؤون الاجتماعية.
- المؤتمرات والندوات العلمية التي تعالج العنف

(١) لمزيد من المعلومات، أنظر: مناحي بن نايف الشيباني، العنف الأسري، دراسة تحليلية، كتاب الرياض رقم ١٥٩، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

الأسري.

إضافة إلى جهود مجتمعية تقودها مؤسسات الإصلاح الوطنية، من مثل:

- حملات التوعية.
- جهود الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان.
- المؤسسات الخيرية ذات الاهتمام بقضايا الوطن المجتمعية.

ولكن هذه الجهود غير دائمة وتحتاج توصياتها لتطبيق فوري لا أن تركن إلى الإجراءات الحكومية الروتينية. هذا الحراك يقودنا إلى معرفة الأرقام التي تم رصدها عن طريق الصحافة في مجال العنف الأسري والتي تؤشر إلى أن ٤٥٪ من أطفالنا السعوديين يتعرضون للعنف بأشكال مختلفة كما تقول الدكتورة الجوهرة العنقري [١]: إن حوادث العنف حسب إحصائيات وزارة الداخلية شكلت نسبة ٨٢٪ من إجمالي الحوادث، وجاءت الرياض مسجلة (١٤٠٦) اعتداءات في عام ١٤١٨هـ قبل أن يرتفع العدد إلى ٤٠٠٪

(١) الوطن، العدد ٢٧١١، الأحد ٢٤ صفر ١٤٢٩هـ - الموافق ٢ مارس ٢٠٠٨م.

خلال سبعة أعـوام، حيث سجلت ٤٥٢٨ حالة خلال عام ١٤٢٥هـ.

وكشفت دراسة منشورة عن السلوكيات الجنسية لدى طلاب المرحلة الثانوية في جدة أن ما نسبته ٣٢٪ وقعوا في ممارسة جنسية خاطئة مرة واحدة أو أكثر خلال السنوات الثلاث التي سبقت فترة إجراء الدراسة، و٤٦٪ من شباب الرياض وقعوا في ممارسة الشذوذ الجنسي مرة أو أكثر، وقالت الأستاذة بارعة الزبيدي: إن حوالي ٢٥٪ من الأطفال السعوديين تم الاعتداء جنسياً عليهم وإن أكثر من ٩٨٪ من المعتدين كانوا من الأقارب [١].

يقول د. خالد بن سعود الحليبي:(إنه تم تسجيل٨٥٠ حالة هروب لفتيات سعوديات نتيجة للعنف الأسري خلال عام ١٤٢٩هـ فيما سجل عام ١٤٢٦هـ حوالي ١٣٣٤ حالة هروب فتيات للسبب نفسه، مشيراً إلى أن بعض المختصين أكدوا أن ٧٠٪ من حالات الهروب سببها التحرش الجنسي داخل المنازل، وأن ٩٥٪ من المعتدين على الأطفال تعرضوا

---

(١) انظر: لم لا نسعى لمجتمع غير منحرف؛ تركي فيصل الرشيد، الوطن. العدد ٢٨٧١، السبت ٨ شعبان ١٤٢٩هـ الموافق ٩ أغسطس ٢٠٠٨م.

هم أنفسهم للإساءة في طفولتهم، وأن ٧٨٪ من السجناء تعرضوا للإساءة في طفولتهم وأن ٩٥٪ من العاهرات تعرضن للاعتداء الجنسي في طفولتهن، وأن ٨٠٪ من متعاطي المخدرات تعرضوا للإساءة في طفولتهم[١].

وفي استطلاع للرأي قامت به الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان، كشف أن ٣٦٪ من حالات العنف الأسري نابعة أساساً من ضعف الوازع الديني، ورأى ناشطون حقوقيون يهتمون بظاهرة العنف الأسري أن الاستطلاع كشف عن حقائق لا يريد البعض الاعتراف بها إذ دوّن المصوتون في الاستفتاء أن السبب الأول: يكمن في ضعف الوازع الديني لدى مرتكبي العنف، فيما رأى ٣١٪ أن انتشار ظاهرة العنف الأسري يعود لأسباب اقتصادية، أما الأسباب الاجتماعية فلم تتجاوز نسبتها ٢٥٪ فيما سجلت الأسباب الأخرى حوالي ٧٪ [٢]. هذا واقع مرير ظهر فيه ضعف الوازع الديني الذي هو محور هذه الدراسة، خصوصاً أن الأسرة هي أحد

(١) انظر: هروب ٨٥٠ فتاة سعودية بسبب العنف الأسري، الوطن، عدد ٣٠٥٧، الأربعاء ١٦ صفر ١٤٣٠هـ، الموافق ١١ فبراير ٢٠٠٩م.

(٢) انظر: جريدة الرياض. ٣٦٪ من حالات العنف الأسري تعود إلى ضعف الوازع الديني، العدد (١٤٧٢٠) الأحد ١٢ شوال ١٤٢٩٨هـ، ١٢ أكتوبر ٢٠٠٨م.

مكونات المجتمع الرئيسة وهي أيضا مرتكز الاهتمام[١].

ولعل هذا هو السبب الذي حمل وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد على دعوة كافة أئمة الجوامع

---

(١) كشفت دراسة اجتماعية حديثة أن ٨٤,٧٪ من النساء يفضلن الطلاق كحل للهروب من العنف الأسري الذي يتعرضن له، فيما قد تلجأ ٤٤,٣٪ إلى القتل للانتقام. وأكدت الدراسة التي تناولت العنف الأسري والنتائج المترتبة عليه أن الآثار السلبية تشمل الإصابة بأمراض واضطرابات نفسية بنسبة ٧٧٪. التأخر الدراسي ٧٤,٣٪، تعاطي المخدرات ٧٤,٢٪، الانحراف الأخلاقي ٧٣٪، فشل الأبناء في دراستهم ٧٠,٨٪، الانحراف السلوكي ٦٨,٩٪، طلاق الزوجين ٦٨,٦٪، تمرد الأبناء على الوالدين ٦٥٪، تغيب الزوج المستمر عن المنزل ٦٤,١٪، إحداث عاهة مؤقتة أو دائمة ٤٥,٦٪. ودعت الدراسة التي قام بها مركز رؤية للدراسات الاجتماعية في القصيم إلى «مساهمة الدعاة وخطباء الجوامع في التوعية بأضرار العنف الأسري، وتوجه بعض جهودهم التوعوية في هذا الجانب من خلال تقوية الوازع الديني عند الأفراد، والتوعية بضرر العضل أو منع الفتاة من الزواج وتبيان خطر ذلك مما يعد سببا لارتفاع نسبة العنوسة». وطالبت بضرورة إيضاح حقوق المرأة من منظور شرعي، وعدم ترك الأمر لجهات أخرى تتناوله من منظور حقوقي تتعارض بعض بنوده مع الشريعة الإسلامية. وأوصت المؤسسات الدينية بتنفيذ حملات توعوية ترمي إلى تبصير أفراد الأسرة بعواقب ممارسة العنف على بعضهم البعض، وإلى إزالة سوء فهم العامة للتشريع الإسلامي وبخاصة في المسائل المتعلقة بحق الزوج في ضرب زوجته وتأديبها وبحقه في القوامة عليها وعلى أولاده واستبداده بهم، خاصة أن نتائج الدراسة بينت استبداد كثير من الأزواج في ممارستهم أشكالا من العنف اللفظي مثل تهديد الزوجة بالطلاق أو الزواج عليها، وأشكال أخرى من العنف النفسي بهجرها وإذلالها. كما دعت الدراسة إلى التصدي لثقافة العنف المنتشرة بين بعض الذكور في المجتمع، وتتجلى في سلوكهم الاجتماعي في محيط الأسرة وحثهم على المعاملة الطيبة للأولاد وللنساء حيث يتبين من نتائج الدراسة انتشار العنف اللفظي بين أفراد المجتمع واستخدام الأفراد للألفاظ البذيئة في تعاملاتهم.

والمساجد والخطباء والدعاة إلى معالجة مشكلات العنف الأسري في المجتمع من خلال الخطب والدروس العلمية، والعمل على المعالجة الشرعية التي تساهم في زيادة الوعي والمحافظة على حقوق المرأة والطفل وحمايتهم من الاعتداء، وكذلك الاهتمام بتنبيه رب الأسرة في التوجيه والتربية والتقويم، وأن يكون ذلك بالأسلوب المحبب والطرق الشرعية المناسبة(١).

جرائم الأحداث والاعتداء على الأطفال:

تشير الدراسات الاجتماعية أيضاً عن الأطفال أو ما يسمى (الاعتداء على الأحداث) أن الظاهرة مخيفة ومقلقة إذ إن ٤٥٪ من الأطفال في السعودية يتعرضون يومياً للإيذاء في البيت والشارع والمدرسة وحتى في دور ومراكز الشؤون الاجتماعية!

وفي دراسة أجراها مركز مكافحة الجريمة التابع لوزارة الداخلية بالرياض جاء فيها: (أن ٢١٪ من الأطفال يتعرضون للإيذاء الجسدي والنفسي بشكل دائم، و٤٥٪

---

(١) انظر: عكاظ، الاثنين ١٢/٠٣/١٤٣٠هـ، ٩/ مارس/٢٠٠٩ العدد: ٢٨٢٢.

يتعرضون للإيذاء بشكل يومي، بينما يتعرض ٣٣٪ للإيذاء النفسي، وجاء الحرمان بمختلف أنواعه بنسبة ٦٦٪)[١].

ولم يتوقف الاعتداء على الأحداث عند هذا الحد بل إن هناك في أروقة فرع الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان في مكة المكرمة (٣٣٩) ملفاً من قضايا الأطفال الذين يعانون من التعذيب الجسدي والنفسي، وهناك (١٠٨) ملفات أخرى لأطفال يتعرضون للتحرش الجنسي خلال عام ١٤٢٨هـ، ويقول د. حسين الشريف المشرف على الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان في مكة المكرمة: (إن الجمعية رصدت ما يقارب (٤٤٧) حالة اعتداء جسدي ونفسي إلى جانب التحرش الجنسي)[٢]، (فيما سجلت الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان أكثر من (١٢٦٠) حالة عنف أسري في كل من جدة ومكة المكرمة وصلت للجمعية عام ٢٠٠٦م)[٣].

ورغم تحفظ الكاتب على بعض ما ورد في هذه الدراسات

(١) أنظر: الشرق الأوسط، العدد ٩٣١٠، الثلاثاء ٦ ربيع الثاني ١٤٢٥هـ ٢٥٢ مايو ٢٠٠٤م.

(٢) انظر: الاقتصادية، العدد ٤٩٢٨، بتاريخ ٢٠٠٧/٤/٩م.

(٣) انظر: الشرق الأوسط، أكثر من ٤٠٠، حالة اعتداء جسدي في مكة المكرمة قبل يوم الطفل العالمي، العدد ١٠٥٨٢، الثلاثاء ١٠ ذو القعدة ١٤٢٨هـ، ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٧م.

الاجتماعية، من حيث الإجراء العلمي واختيار عينة البحث - إلا أنها مؤشر على ما يجب علينا في مؤسساتنا الاجتماعية والأمنية من ضرورة إجراء مزيد من المسوح البحثية لكل حالة، واستقصاء جذورها، وتكليف الجامعات كافة التي تضم كليات للتربية والاجتماع إلى تقصي مثل هذا الأمر، والإنفاق عليه بسخاء.

السرقات والاعتداءات على الآخرين:

ضعف الوازع الديني، واحد من مهددات المجتمع في كل مفاصله، وتقويض لبناء الأسرة الرفيع، وتهديد لسياج الوطن المنيع، كما تعدد مشكلاته برهان على ما يعانيه من عدم تأثير البرامج الإصلاحية والدعوية والإرشادية والاجتماعية، وعدم تجاوبه معها؛ أو أن مهددات الخارج من مخدرات ومسكرات وأفكار أقوى من الجهد الداخلي (اجتماعياً وثقافياً وإعلامياً) وإلا فما دلالة انتشار المخدرات وتعاطيها بين الشباب؟ وما دلالة تزايد أرقام الطلاق بين الأسر؟ وما دلالة نسبة حالات الانتحار؟ وما دلالة تنوع السرقات والاعتداء على الآخرين؟ إلا أن الوازع

الديني ضعيف، ومغريات الحياة كثيرة، وبرامج التوعية والإرشاد غير مجدية.

تظهر أرقام السرقات والاعتداء على الآخرين حالة ملتبسة في أوضاع المجتمع، فقد أبانت دراسة أجراها مركز أبحاث الجريمة في وزارة الداخلية: (أن معدلات السرقات في السعودية بلغت نحو ١٤٪ تقريباً من معدل الجريمة في المجتمع، ويستعاد ٩٢٪ من هذه السرقات، ومعظم سارقي السيارات هم من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٧-٣٦ سنة وأغلبيتهم من طلبة المدارس والعاطلين عن العمل، وثلث السارقين للسيارات من العاطلين عن العمل في مدينة الرياض وحدها)[(١)].

انتشار المخدرات:

تذكر الأرقام الإحصائية عن إدمان المخدرات في المملكة أن (عدد المدمنين يتجاوز (٣٠,٠٠٠) شخص، وعدد المراجعين اليومي لمستشفيات الأمل من (١٢٠ -١٧٠) مراجعاً، وتتراوح أعمار المدمنين من (١٨ - ٤٠) سنة، وقد

(١) انظر: الرياض، سرقة السيارات ظاهرة مقلقة للمجتمع، العدد ١٤٥٧٧، الخميس ١٧ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ - الموافق ٢٢ مايو ٢٠٠٨م.

استقبل مستشفى الأمل بجدة (١٣٣) حالة مدمنة خلال السنوات ١٤٢٦هـ - ١٤٢٨هـ، كما بلغ عدد الحالات المحالة إلى مستشفى الأمل في جدة خلال السنتين الماضيتين لمدمنات ومروجات (١٠٦) حالات والرقم في تزايد مستمر)[١] [٢].

(١) انظر: عكاظ، إلغاء قسم الأمل النسائي في جدة، إيقاف برنامج التأهيل، العدد ٢٧٥٣، الثلاثاء ١٤٣٠/١/٢هـ الموافق ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٨م.

(٢) تمكن رجال الأمن من تفكيك شبكة محلية ذات ارتباط بجهات خارجية امتهنت تهريب المخدرات وترويجها في واحدة من أربع عمليات أسفرت عن ضبط ١٨٦٨ كيلو جراما حشيشا و٣,٤ ملايين قرص كبتاجون، فيما تم القبض على ٣٥ مهربا ومروجا بينهم ١٣سعوديا. وأوضح المتحدث الأمني في وزارة الداخلية أن يقظة رجال مكافحة المخدرات ومتابعتهم لكافة الآثار الدالة على بؤر الفساد ونشاطاتها الإجرامية للاتجار بالمخدرات وغسل الأموال، أسفرت عن القبض على المتورطين في النشاطات الإجرامية لهذه الشبكة في عدة مناطق من المملكة وعددهم ١٩ شخصا منهم سبعة سعوديين و١٢ من جنسيات عربية وضبط في حوزتهم مليونا قرص من أقراص الكبتاجون المخدرة كانت مجهزة للترويج في أوساط صغار السن والشباب من أبناء المجتمع، إضافة إلى مبالغ مالية نقدية بلغت خمسة ملايين و٨٨٠ ألف ريال، إضافة إلى ١٣ سيارة.
وكشفت التحقيقات الأولية عن قيامهم بإيداع وتحويل مبالغ مالية كبيرة بلغت ٤٠٦ ملايين ريال سعودي في حسابات بنكية داخلية وخارجية، إضافة إلى تصدير عدد كبير من السيارات ضبط منها ٢٣ سيارة كانت معدة ومجهزة للتصدير إلى الخارج.
كما تم في عملية ثانية رصد وإحباط محاولة تهريب ٩٠٣,٧ كيلوجرام من مادة الحشيش المخدر، بالإضافة إلى أربعمئة وخمسين ألف قرص من أقراص الكبتاجون المخدر؛ كانت في طريقها للتسليم داخل المملكة، حيث تمكن رجال الأمن من الإيقاع بالمهربين وضبط المواد المخدرة والقبض على المتورطين في الجريمة وعددهم ١٢ شخصا منهم=

تهديد الكيان الأسري بالطلاق:

تشير حالات الطلاق في المجتمع السعودي إلى: (وقوع (٦٦) حالة طلاق يومياً في المملكة، وأوضح تقرير المحاكم أن إجمالي صكوك الطلاق بلغ (٢٤٤٢٨) صك طلاق)[١] في عام ١٤٢٨هـ.

الانتحار:

كشفت إحصائية صادرة عن إدارة التخطيط و الإحصاء في وزارة الداخلية عن زيادة في نسبة حالات الانتحار، أو محاولة الانتحار في السعودية خلال الفترة من (١٩٩٤ -٢٠٠٦م) وهو العام الذي سجلت فيه ٢٦١ حالة انتحار،

= ٦ سعوديين والبقية من المقيمين في المملكة والوصول إلى أوكارهم التي لجأوا إلى إخفاء سمومهم فيها وعددها ثلاثة مواقع تم العثور فيها على ٣٤٣ كيلو جراما من مادة الحشيش المخدر ليكون إجمالي ما تم ضبطه في هذه القضية من الحشيش المخدر طنا ومئتين وستة وأربعين كيلو جراما و٧٠٠ جرام.

وشهدت العملية الثالثة ضبط كمية كبيرة من أقراص الكبتاجون المخدرة المهربة إلى المملكة بلغت مليونا وتسعمئة وخمسين ألف حبة، حيث تمكنت الجهات الأمنية المختصة من القبض على مستقبلها وهو من المقيمين في المملكة بعد استلامه لها وشروعه في توزيع جزء منها. (انظر، عكاظ، الاثنين ١٢/٠٣/١٤٣٠هـ) ٠٩/ مارس/٢٠٠٩ العدد: ٢٨٢٢).

(١) انظر: الرياض، ٦٦ حالة طلاق يومياً في المملكة. العدد ١٤٥٩٩، الجمعة ٩ جمادى الآخر ١٤٢٩هـ الموافق ١٣ يونيو ٢٠٠٨م.

غَيناء للنشر
Ghainaa Publications

بنسبة ١٨٥٪ محققة زيادة بمقدار الضعف في هذا العام مقارنة بنسبة الأساس ١٩٩٤م، وبلغ عدد محاولات الانتحار خلال الفترة نفسها (٣٧٠) حالة، بنسبة ٦٤٩٪ لعام ٢٠٠٦، مسجلة ارتفاعاً وصل خمسة أضعاف مقارنة بنسبة الأساس ١٩٩٤م [١]، فيما تذكر الأرقام غير الموثقة أن عام ٢٠٠٧م شهد حوالي (٥٩٦) حالة انتحار من مختلف الجنسيات.

وفي دراسة عام ٢٠٠٦م على الناجين من الانتحار وعددهم (٩٦) حالة كانت تخص نساء مقابل أربع حالات للرجال، تقول سلوى الخطيب: (إن المستشفى الذي تعمل فيه مستشارة يستقبل شهرياً ١١ امرأة في المتوسط حاولن الانتحار، وبلغ عدد المراجعات لعيادات الصحة النفسية حوالي (٦٠) [٢] مليون مراجعة خلال عامين فقط) [٣].

تلك بعض الأرقام ولكن غالبية الحالات غير مسجلة

---

(١) انظر: معدلات الانتحار في السعودية تقفز إلى ١٨٥٪ خلال ١٢ عاماً، الشرق الأوسط العدد (١٠٨٣٩) الجمعة ٢٩ رجب ١٤٢٩هـ الموافق ١ أغسطس ٢٠٠٨م).

(٢) أعتقد أن هذا الرقم قد يكون مبالغاً فيه بشكل لافت، ولكن حتى لو حذفنا الصفر فإنه يبقى مقلقاً وخطيراً أيضاً.

(٣) انظر: تركي فيصل الرشيد؛ لم لا نسعى لمجتمع غير منحرف. الوطن، العدد ٢٨٧١، السبت ٨ شعبان ١٤٢٩هـ - الموافق ٩ أغسطس ٢٠٠٨م.

لضعف الدراسات الموثقة في هذا المجال شأن كافة قضايانا الاجتماعية المؤجلة أو التي جرى السكوت عليها؛ نتيجة لعادة المجتمع نفسه مما يؤخر وجود العلاج المناسب، واستيضاح الرؤية المستقبلة لما سيكون عليه حالنا في شتى قضايانا.

المظاهر الشبابية والهزيمة النفسية والحضارية:

الهزيمة النفسية التي يعيشها شبابنا وشاباتنا إزاء قضايانا المجتمعية وانفصالهم عنها واهتمامهم بالآخر ثقافياً وسلوكياً أمر في غاية الخطورة، وما لم تبذل جهود مضاعفة فإن شبابنا ومستقبل وطننا ونحن سنكون الخاسر الأكبر.

شبابنا وشاباتنا لم يعد لكثير منهم رؤية في دورهم كسعوديين يُبنى عليهم المستقبل، ولا يدركون مع الأسف الشديد معنى أن ينتسب الشاب إلى السعودية «الوطن»، أو أن يفتخر الشاب «أنه سعودي»، وأن ذلك شعار يمثل قيماً، وعادات، وتقاليد اجتماعية ثرية ومتميزة. إن من دواعي إعمال هذا التساؤل في الذاكرة، والوجدان، والعقل،

والمنطق، ما نراه من ظواهر اجتماعية لدى شبابنا من بحثهم الدائم عن كل ما يقتل الوقت ويقضي عليه، وتزينهم بأحدث موضة في لباسهم، وقصات شعرهم، وحركاتهم، حتى أن الواحد منا لا يستطيع التفريق بين الشباب بسبب الاغتراب الحضاري والمسلكي الذي انجرف إليه هؤلاء في كل أحوالهم؟!

يعلق أحد المثقفين السعوديين على هذه الظاهرة بقوله: (لقد رأينا ما كنا نرغب في عدم رؤيته مع الأسف البالغ الشديد المرارة، فتزيا نفر من الشباب بأزياء غريبة بشعة، وطالت الشعور بدرجة مقززة، ولجأ بعض الشبان إلى (الطوق)، و(البكلة) من أدوات النساء في ضبط شعورهن! ورأيت في أحد شوارعنا الرئيسة نفراً من الشباب يقف بجانب سيارة فتحت (شنطتها) فبان رسم كبير ملصق بالباب يتمثل في جمجمة رابضة على عظمتين! وهو شعار عبدة الشيطان!.

(ورأيت في شارع آخر شباناً يلتقون في أمسيات نهايات الأسبوع على جانبي الشارع، ويظهرون في أشكال غريبة، ويتواصلون بعضهم مع بعض بطريقة لا تخلو من التخنث

والشذوذ.

(وسمعت أن ثمة نسبة من هذه السلوكيات الغريبة الشاذة لا تخلو منها كلية، أو معهد جامعي للبنات، فانتشرت ظاهرة المبالغة في التكحل على طريقة منتسبي الطائفة الشيطانية ولبس السواد، وقص أو حلاقة الشعر وتلوينه بطريقة لافتة للانتباه، ووضع الحلق في اللسان أو الشفة أو غيرها!)[1].

إنها هزيمة نفسية وحضارية خطيرة؛ هزيمة لمسيرة التدين، وهزيمة على مستوى التربية والتعليم، وهزيمة على مستوى السلوك الاجتماعي العام، وهزيمة لكل تقاليد المجتمع وأعرافه الصافية النقية: (إنها في حقيقة الأمر الهزيمة النفسية الحضارية، والشعور بالضعف والهوان، والانقياد التابع الذليل للغازي، وتقليده رغبة في اللحاق به والانتماء إلى رتبته الحضارية المتقدمة، وفي المقابل تنم هذه السلوكيات الشاذة عن نقمة تشبه الحمم والبراكين الثائرة في نفوس هـؤلاء الشبان والشابات على الواقع الاجتماعي بمنظوماته الدينية والأخلاقية والتقاليدية.

(١) انظر: وللانفتاح أيضاً مرارته، جيل تائه ممسوخ، د. محمد عبد الله العوين، الجزيرة العدد ١٨٢٨٤، الثلاثاء ١٥ صفر ١٤٣٠هـ الموافق ١٠ فبراير ٢٠٠٩م.

كما أنها توحي باضطراب نفسي، وقلق وجداني، وحيرة عقائدية، وتردد وشك في معرفة الخطأ والصواب، والقبيح والحسن، وما يحسن أخذه، وما يجب تركه، ولا غرابة لو تحول أحد هؤلاء يوماً من النقيض إلى النقيض كردة فعل، فانتقل من التطرف في هذا المسلك الشائن المهزوم إلى تطرف آخر مضاد)[١].

تلك أرقام عن حركة المجتمع وما يمور به من تقلبات تفصح عن مدى تدينه، ومدى التأثير الذي طرأ عليه، والاستلاب الذي يعيشه في بعض جوانبه، وهي مؤشرات لقادة الرأي، والدعاة، والمثقفين، والمصلحين الاجتماعيين، والأمنيين إلى أن يولوا ذلك كله عنايتهم وأن يوجهوا له الدراسات العلمية الجادة حتى لا ينفرط عقد المجتمع ويتجه إلى الانفلات عن قيمه، وعاداته، ومثله.

ما نريد قوله إن تدين مجتمعنا يحتاج إلى تقويم جديد وإلا كيف نفسر أن هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد قامت عام ٢٠٠٦م «بضبط (٤١٦) ألف قضية وعدد

(١) المرجع السابق.

الأشخاص فيها نحو (٤٣٤) ألف شخص (أي ما يعادل ٢٪ من سكان السعودية، على اعتبار أن عدد المواطنين والمقيمين يزيد على (٢٢) مليون نسمة، وبلغ عدد من انتهى موضوعه بالستر والتعهد نحو (٣٩٢) ألف شخص بنسبة ٩٠٪، بينما أحيل لجهة الاختصاص نحو (٤٢) ألف شخص أي بنسبة ١٠٪[(١)] [(٢)].

---

(١) انظر: الشرق الأوسط، رئيس هيئات الأمر بالمعروف: ضبطنا ٢٪ من سكان السعودية و٩٠٪ من القضايا انتهت بـ «الستر». العدد ١٠٧٧٧، السبت ٢٦ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ الموافق ٣١ مايو ٢٠٠٨م.

(٢) رصدت الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣٠٠,٨٧٩ واقعة وقضية في مناطق ومحافظات مختلفة، بلغ عدد أطرافها ٣٢٣,٧٦١ شخصا.

ووفقا لتقرير إحصائي للهيئة عن عام ١٤٢٨ هـ أحالت الهيئة ٢٤,١٤١ قضية للجهات المختصة بمعدل ٨ ٪، اتهم فيها ٤٧,٠٢٣ شخصا بمعدل ١٠ ٪ من إجمالي المضبوطين، وأنهيت بالتعهد ٢٧٦,٧٣٨ مخالفة بمعدل ٩٢ ٪ من إجمالي الوقوعات، ويزيد عدد أطرافها عن ٢٧٦,٧٣٨ شخصا وبمعدل ٩٠ ٪ من إجمالي المضبوطين. ورغم انخفاض وقوعات العبادة وقضايا الآداب العامة عن الأعوام السابقة إلا أنها جاءت في مقدمة القضايا التي رصدتها الهيئة.

وأوضح التقرير أن عدد السعوديين في هذه القضايا والمخالفات بلغ ٨٤,١٢٩ شخصا يمثلون ٢٧ ٪ بزيادة ١٤ ٪ عن العام الماضي، أحيل منهم للجهات المختصة ١٥,٠٢٢ بنسبة ١٥ ٪، وارتفع عدد المتهمين غير السعوديين إلى ٢٣٩,٦٣٢ شخصا بنسبة ٧٣ ٪ من إجمالي المضبوطين بزيادة ٥ ٪ عن العام الماضي، أحيل منهم لجهات الاختصاص ٣٢,٠٠١ شخص بنسبة ٨ ٪ يمثلون ما نسبته ٠,٥ ٪ من السكان غير السعوديين، وأنهي بالتعهد ما نسبته ٩٢ ٪.

وتصدرت وقوعات العبادة قائمة القضايا والمخالفات بعدد ٢٣٠,٧١٠ مخالفة، بنسبة=

إن جهات التوعية، والتوجيه، والتربية، والإرشاد، والإدارات الاجتماعية، والأمنية محتاجة إلى مراجعة برامجها وأيضاً إلى تكثيف قيامها بالدراسات والبحوث الميدانية السنوية التي تقيس مدى تأثير الأحداث على قيمنا وثوابتنا الاجتماعية والدينية، ولا يكفي أن نكرر أننا شعب متدين، دون أن نوثق، ونسجل، وندرس الظواهر المختلفة التي جاءت إثر الأحداث العالمية والمحلية التي

= ٧٦,٧ ٪، وتشمل كل مخالفة تقدح في سلامة معتقد الإنسان من خلال ما قرره أئمة أهل السنة والجماعة مثل:(سب الله، أو رسوله صلى الله عليه وسلم، أو سب الدين، أو سب الصحابة رضي الله عنهم، السحر والشعوذة، حيازة التمائم، بدع المقابر).. وجاءت في ذيل القائمة وقوعات العقيدة بواقع ٥٨٥ قضية بنسبة ٢ ٪ من إجمالي القضايا المحالة لجهات الاختصاص بزيادة عن العام الماضي مقدارها ٢٩ ٪، اتهم فيها ١٠٣٢ شخصا بينهم ٨٩٨ غير سعودي.

وانخفضت وقوعات العبادة: وهي ترك شعائر الإسلام الظاهرة إلى ٢٣٠,٧١٠ وقوعة بنسبة ٧٦,٧ ٪، وبنقص عن العام الماضي ٢٨ ٪، وبلغ عدد المضبوطين ٢٤٧,٧٢٩ شخصا يمثلون ٧٤,٧ ٪، ولكن سجلت قضايا العبادة ٨,١٥٠ قضية بزيادة ٢٩٠ ٪ عن العام الماضي.

وبلغت الوقوعات الأخلاقية ٣٤,٨٢٦ بنسبة ١١,٦ ٪، و بنقص ٣٠ ٪ عن العام السابق، كما انخفضت وقوعات المسكرات إلى ١,٧٢٣ مخالفة، وبنقص ٤٣ ٪ عن السنة السابقة، وبلغ عدد قضايا المخدرات ٣,٢٧٧ قضية بنقص ٥١ ٪ عن العام السابق، وبلغت وقوعات الآداب العامة ٢٠,١٤٤ مخالفة بنقص عن العام الماضي ٢٤ ٪. (انظر، عكاظ، الخميس ١٤٣٠/٠٣/٠٨هـ) ٠٥/ مارس/٢٠٠٩ العدد: ٢٨١٨).

تحيط بنا كما ينبغي أن نبحث أثر وسائل الإعلام المختلفة على مجتمعنا، قيماً وإنساناً، وثوابت ومكونات، وأن نربط كافة معالجاتنا بمزيد من الدراسات والبحوث الميدانية التي تعطي مؤشرات على قدرتنا على الحفاظ على قيمنا وثوابتنا الدينية والوطنية.

نعم نحن شعب ذو خصوصية؛ ولكن الخصوصية ليست صكاً للطهارة والنزاهة والسمو، بل هي معيار يحتاج إلى أن يبرز عند كل دراسة، أو بحث علمي يؤكد هذه الخصوصية ويعلي من التزامنا بها.

نهاية التدين في المال العام:

دائماً ما يبرع التاريخ في إمدادنا بشواهد تقرب المعنى في ذهن القارئ، وإذ نسوق براهين على مدى تدين الناس عامة، وأهل النفوذ، فإن هذا لإيضاح الواقع التديني في المجتمع والمزاوجة الواضحة بين التدين الشكلي الظاهري وتدين الجوهر والمضمون. ينقل المفكر الإسلامي د. محمد عمارة، عن المؤرخ والكاتب علي باشا مبارك من كتابه «الخطط الجديدة» في حديثه عن الأمير عبد الرحمن كتخدا

(١١٩٠هـ - ١٧٧٦م) الذي لقب بـ:(بصاحب العمائر) «لكثرة ما أقام من المساجد والزوايا والمدارس والأسبلة والسقايات والمكاتب والحيضان والقناطر والرباطات ...» ويقول عن دينه وتدينه وأخلاقياته: «لقد كان - عفا اللّٰه عنه - يقبل الرشا! ويتحايل على مصادرة بعض الأغنياء في أموالهم! واقتدى به في ذلك غيره، حتى صارت سنة مقررة، وطريقة مسلوكة ليست مستنكرة؟!

ويذكر عن الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي الظاهري (٨١٥ -٨٢٤هـ - ١٤١٢ - ١٤٢٥م)، أنه كان يحب أهل العلم ويجالسهم ويجل الشرع النبوي، ويذعن له! ويرفض البدع، وله قيام في الليل إلى التهجد أحياناً. وكان أيضاً من أكبر أسباب خراب مصر والشام، لكثرة ما كان يثيره من الشرور والفتن وكثرة المظالم ونهب البلاد وتسليط أتباعه على الناس!

بعد هذين الشاهدين التاريخيين عن الفساد المالي والتناقض بين التعبد والسلوك العام في الحياة نطرح سؤالنا عن حالنا في المال العام[1]:

(١) د. محمد عمارة، الإسلام والمستقبل، التدين بين الشكل والمضمون، ص ١٩٣، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، دار الشروق.

إلى أين يتوجه المجتمع كله برمته، شيوخه، شبابه، نساؤه، وقادة الرأي فيه؟ إنه يتجه بشكل مذهل نحو المال ولا شيء غيره. لقد تحول تفكير المجتمع بكل أطيافه إلى الحصول على المال وتملكه على حساب الآخرين ومدخراتهم أو حتى على حساب الوطن بالاستيلاء على المال العام، مهما كان الثمن؛ سرقة أو اغتصاباً بدعوى الإحياء، دون وازع من خُلُق، أو رادع من دين، أو قيمة لتدين.

لقد نشط المجتمع في سنواته العشر الماضية بشكل مخيف للحديث عن المال، والأسهم، وتأمين المستقبل، وحركة التداول، بشكل طغى على كل قيمة أخرى، وتساوى فيه الناس، نَعَمْ «نِعْمَ المال الصالح للرجل الصالح» ولكن دون أن يأتي ذلك على مصلحة الوطن وحقوق المواطن؛ واستورد المواطن المستثمر تجارب في جمع المال لكنها ليست ذات جدوى في تحقيق اقتصاد منتج ومثمر، كانت تجربة «السعد» و«الريان» الشهيرة في مصر مما تم جلبه داخل الوطن، وتم استنساخ تجربة «سوق المناخ» من الكويت، وكانت هذه التجارب الثلاث وغيرها أكبر إخفاقات التدين في المال العام ومال المواطن الضعيف المغلوب

على رزقه.

بدأها «الأجهوري» منتصف السبعينيات الميلادية من القرن الماضي و«الزرقاء» المرأة الحديدية في شمال المملكة، ثم «العيد»، و«الجمعة»، و«الدريبي»و«سوا»وغيرها، كان من آثار هذه الاستثمارات طيران مدخرات «المواطن المغلوب على رزقه»؛ دون صاد من خلق، أو زاجر من دين.

الإحصائيات المتوفرة، تقول:«إن هناك (٩٠) مساهمة عقارية متعثرة، مرخصة وغير مرخصة موزعة على عدد من مناطق المملكة بقيمة تبلغ وفقاً لتقديرات مختصين نحو «٢٠» مليار ريال»[1].

كان الهدف الأسمى لهذا التوظيف السيئ للمال العام هو البعد عن «الربا» ليقع «المغلوب على رزقه» في «سرقته» باسم الدين. وباسم التدين المظهري، وباسم هذه القيم السامية، ضاعت حقوق المواطن. صحيح أن هناك تأخراً من قبل الإدارة التنفيذية في الوطن بإيجاد أوعية استثمارية لهذا المستثمر المواطن، لكن أيضاً حتى

---

(١) انظر: النظام الجديد ينشط السوق ويعيد الثقة للمواطنين، الوطن، العدد ٣٠٥٧، الأربعاء ١٦ صفر ١٤٣٠هـ - الموافق ١١ فبراير ٢٠٠٩م.

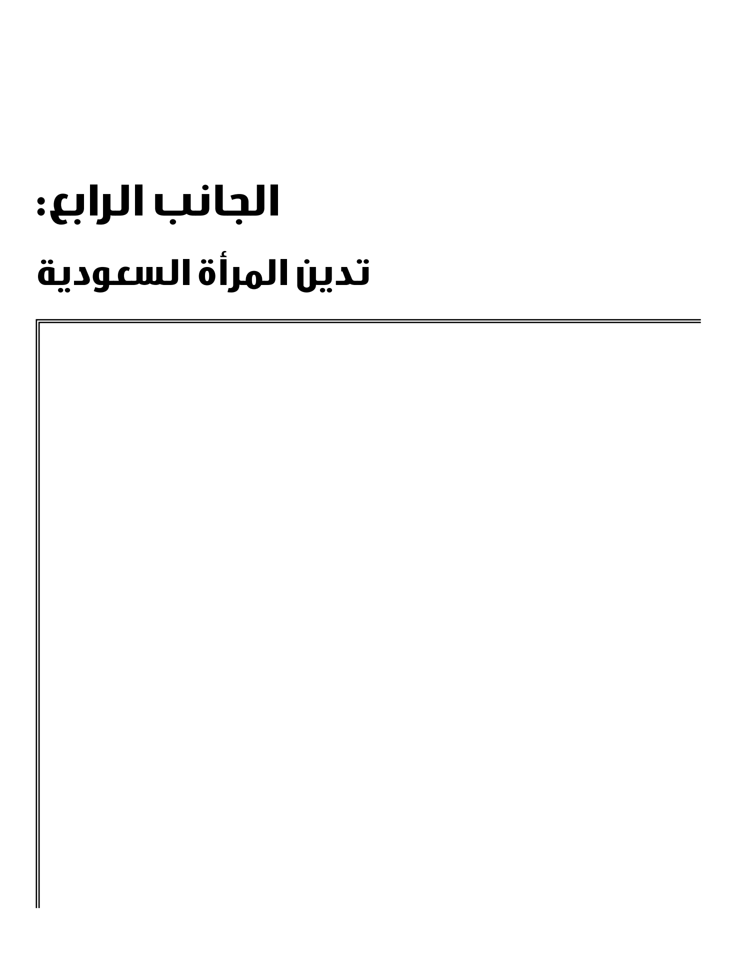
سوق المال السعودي، تعرض لأكبر نكسة مالية في فبراير ٢٠٠٦م، ما زال كل مواطن يعيش مأساتها، نتيجة حجب المعلومة عنه؛ وغلبة المال الكبير على مدخرات المواطن الصغير؛ وضعف الرقابة المالية، وكأنما أرادوا تحقيق ما حذر اللّه منه: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ (الحشر: آية ٧). وكان من ثمرة ذلك: ازدياد طغيان الأغنياء وتركيز المال عندهم، وإنهاك المواطنين الفقراء وتكاثرهم وازديادهم فقراً على ما هم فيه من هم ونكد وضيق ذات اليد؛ نعم أصبح المال دولة بين الأغنياء من بيننا وليسوا منا. وفي المال لا تكفي القدرة والمهارة في استثماره وجمعه؛ ولكن في الخلق الكريم، والفقه في البعد عما حرم اللّه، والرغبة في تحقيق مآلات إنفاقه، وإعمار الأرض من خلاله، ومشاركة كل خلق اللّه في الإفادة منه. لا خير في مال ليس له قيمة مضافة تعود بالخير والمنفعة على الوطن والمواطن. إن غياب الرؤية الشرعية، والنهم في جمع المال بكل الطرق هو ما يعمي البصيرة، ويحجب البصر عن الغاية القصوى من حيازة المال.

لقد ازدادت رغبة رجل المال في إيداع ماله في البنوك

الربوية بعد ٢٠٠٦م، ليحقق عائداً ربوياً ينمي ماله، وتكاثرت رغبة المواطن في الاقتراض من البنوك، وتوسع الناس أجمعون في التورق للحصول على المال، فضلاً عمن يتسابق على بيع أراضيه بعد حيازتها بطرق غير مشروعة على المؤسسات ذات الذراع الطويلة في المال العام للدولة والمواطن، بسعر يحدده هو لا قيمة عرضه في السوق، دعك من تأويل بعض من يحسبون أنفسهم على طلبة العلم في كثير من قضايا المال، وكيف نتصور أثر رجال المال والأعمال في سوق الأسهم؟! لكن الحقيقة الواضحة أن كثيراً من قضايا الفساد أساسها المال. وهكذا ينتقص من ديننا ومن مثلنا وتديننا بتسابقنا نحو المادة والحصول على المال بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة. إنها حقاً مأساة في التدين، وخدش في جدار الوطنية الرصين.

الجانب الرابع:

تدين المرأة السعودية



كرم الإسلام المرأة؛ وحرسها وفق ضوابط شرعية، وصان وجودها بسياج من العفة والستر، والمرأة السعودية ذات مكانة عالية وتقدير جم في مجتمعها حظيت فيه بتعليم عالٍ، وأقيمت لها مؤسسات تربوية متميزة، وعملت في قطاع التعليم والتربية، والطبابة، والأعمال التجارية، والبنوك، ومؤسسات المجتمع المدني وفق منهج شرعي رصين، ولكن بعضاً من دعاة التحرر لم يرق لهم هذا التميز والعفاف للمرأة السعودية، فنادوا منذ حرب الخليج الثانية وحرب تحرير الكويت عام ١٩٩٠م، إلى خروج المرأة وقيادتها السيارة، ومشاركتها في أكثر من نشاط اجتماعي، وسياسي، واقتصادي، وإعلامي، وفكري.

وكل كتابة عن المرأة وقيادتها السيارة، والتباكي على حالها إنما المقصود به خروجها إلى المجتمع سافرة ومخالطتها للرجال ومزاحمتها في كل مجال ؛ وهم يتبارون في ذلك بكل انتهازية حتى وصل الأمر إلى أن كل من يحث ابنته، أو أخته، أو زوجته

على لبس العباءة يوصف بأنه يعاني من وسواس قهري[1].

وهو بالطبع لا يقصد الحجاب لأنه لو قال بذلك لخرج عن النص لكنه حام حول الحمى، (ومن يطلع على كثير من اللغو، والهشاشة، والتجديف، وضعف الانتماء، وإشغال المجتمع بقضايا هشة لا تقدم ولا تؤخر، مثل: السينما، أو مشاركة المرأة في الأوليمبياد يطمئن إلى أن اندفاع النفر الليبرالي ليس مدعوماً بمشروع نهضوي حقيقي، إذ إنه منسلخ من أمته، حيث لا يؤمن بمنطق «الأمة» ومتخل عن محيطه، حيث لا يؤمن بمنطق القومية، ومقبل - دون عميق وعي ولا إدراك - على احتذاء الآخر المختلف في صورة انهزامية نابعة مستذلة؛ وبرغبة محذرة في استنساخه جملة وتفصيلاً)[2]. ولئن كان ذلك صحيحاً فإن ما ينادى به من تحرير للمرأة السعودية - غير مصحوب بمشروع نهضوي حقيقي - فإن تعالي الأصوات؛ وما نراه من استجابة سريعة من فتيات المجتمع، مؤشر خطير على مدى ما يمور به قطاع عريض من المجتمع من هرولة نحو

(١) انظر: معجب الزهراني الـ «تشادور» و«العباءة» الرياض، العدد ١٢٥٨٦، الخميس ٥ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ، ١ يونيو ٢٠٠٦م.

(٢) انظر: نحن في مواجهة متطرفين، تكفيري ظلامي، وليبرالي تغريبي، ا.د. محمد بن عبد الله العوين، الجزيرة، العدد ١٣٢٧٢، الخميس ١٤٣٠/٢/٣هـ - الموافق ٢٠٠٩/١/٢٩م.

التبذل والانسلاخ عن قيم اجتماعية وثقافية أصيلة، ونقرأ ذلك في الأمور التالية:

- التوسع في مشاركة المرأة في القنوات التلفزيونية، وخروجها كاشفة لزينتها، وإن كان بعضهن تخرج بحجاب يستر الشعر والعنق، وفقاً لرأي بعض الفقهاء ممن أجاز لهن التكحل واستخدام المكياج وألوان الشفاه، ورسم الحواجب وإظهار لمة الشعر على الجبهة.

- المباراة والمباهاة بمطالبات المرأة السعودية في قنوات أمريكية مثل قناة الحرة - وهي قناة ممولة بالكامل من الخارجية الأمريكية - التي تتحدث عن مطالبات اجتماعية مثل مشاركة المرأة رياضياً، وسياسياً، واجتماعياً بشكل مذل ومبتذل.

- الدعوة إلى سفر المرأة دون محرم ويتبارى في ذلك بعض علماء السلفية مع الأسف الشديد وكأن مشاكلنا الوطنية قد اختزلت في مثل هذا الأمر.

- الضغط الإعلامي الرهيب الذي تمارسه قنوات ممولة سعودياً تدعو إلى تحررها ومشاركتها في كل أمر، وكأن المرأة السعودية في سجن كبير.

- ما نشهده في كل رحلة سفر دولية عند وصولنا إلى المطارات

السعودية أو الأجنبية من تخلص غالبية النساء السعوديات من حجابهن وسترهن في الخارج، والتزامها قبل الوصول إلى المطار بلبس العباءة والحجاب؛ وكأنهن في أزمة نفسية متناقضة بين ما هو دين وقيم، وبين ما تراه في القنوات وتردن تطبيقه، وهذا راجع في أساسه إلى ضعف في الثقافة والتربية الدينية.

لقد أتت الدراسة من قبل على قضايا تخص المرأة في السعودية ووضعها الاجتماعي؛ وبعض الأرقام التي تؤذن بانهيار في جدار حشمتها وتدينها، خصوصاً التحرش الجنسي وهروب الفتيات، والعنف الأسري بقضاياه المتعددة، وإدمان الفتيات للمخدرات، وحتى الانتحار... ما يغني عن تكراره هنا.

إن تدين المرأة السعودية جزء أصيل من تدين المجتمع كله، وإن تمسكها بثوابت دينها وقيمها الاجتماعية، يحتاج إلى مزيد تبصر وتأمل وإعادة نظر، ولكن أختم بكلمة رائعة تتعلق بالمرأة السعودية خصوصاً والمسلمة عموماً، تقول تانيا هوسو من أمريكا: (إن العباءة لباس مريح وعملي، ويجب أن تظل خيار النساء السعوديات بدلاً من أن تكون مثار سخرية من الصحافة الغربية التي تجهل معنى ذلك بالنسبة للسعوديات)[(١)].

(١) انظر: المرأة في السعودية رؤية عالمية، تانيا هوسو، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، دار غيناء للنشر.

الجانب الخامس:

المثقفون السعوديون والتدين

توجه العقل السعودي بأكمله إلى محاربة الغلو والتشدد؛ عبر حراك ثقافي متواصل، بعضه لام النص السائد، وآخر لام الانهزامية والانبطاح للآخر، وثالث يريد أن يجمع المتناقضات، وأصبح التلاوم بين الأطياف الفكرية السمة الغالبة في الطرح الفكري والثقافي والإعلامي فيما بينهم.

صراع الأفكار والجماعات:

لقد أنتج هذا الوضع تيارات فكرية لا يمكن إغفالها من أمثال الليبراليين، والعلمانيين على مستوى المثقفين، كما أنتج حركيين «إخواناً مسلمين»، و«سروريين»، و«جاميين» و«سلفيين» وكل طائفة تدعو للتحزب والتعصب، كما يتباهى آخرون «بالصوفية»، و«الإسماعيلية»، و«الشيعة»، و«النخليين»، وكل حزب بما لديهم فرحون على مستوى الإسلاميين.

ولئن تعرضت هذه التوجهات الفكرية للوم من القيادة في المملكة، عندما وجه خادم الحرمين الشريفين خطابه قائلاً: «وأصارحكم القول إنني أرى أنه لا يتناسب مع قواعد الشريعة السمحة، ولا مع متطلبات الوحدة الوطنية، أن يقوم البعض بجهل أو بسوء نية بتقسيم المواطنين إلى تصنيفات ما أنزل الله بها من سلطان، فهذا «علماني» وهذا «ليبرالي»؛ وهذا «منافق» وهذا «إسلامي متطرف» ... والحقيقة هي أن الجميع مخلصون إن شاء الله لا نشك في عقيدة أحد أو وطنيته حتى يثبت بالدليل القاطع أن هناك ما يدعو للشك لا سمح الله . إنني أطلب من المواطنين كافة، وطلبة العلم، والصحفيين، والكتاب خاصة أن يترفعوا عن هذه الممارسات»[١].

لئن قابل تقسيم المجتمع من القيادة العليا للوطن بلوم ورجاء أن يتوقف مثل ذلك الصدام الفكري، إلا أن الليبراليين – وهم الأعلى صوتاً والأكثر حدة في الإعلام–

---

(١) انظر: نص كلمة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، في احتفال أهالي منطقة القصيم، يوم الخميس ١٩ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ – الموافق ١٥ يونيو ٢٠٠٦م، الرياض، العدد ١٢٨٧١.

لم يتركوا أمراً إلا صاغوه وكأنهم المظلومون، رغم أنهم في مواقفهم الفكرية تطاولوا على المرجعيات النهائية وتحدوها، وهم في مسلكهم يريدون أن يفسروا كل قيمة شرعية إلى ما يناسبهم ويتوافق مع ما يؤمنون به.

لقد انبرى هـؤلاء الكتاب، كما وصفهم مفكر سعودي مرموق، في سعيهم لتفكيك ثقافة الوطن وتدينه أولاً، كمن يعمل في منطقة « الأمعاء في الإنسان» فلا تعلم من أين يأتيك الوجع والألم، ومن هنا لا غرو أن يوصف المجتمع كله بالتخلف «وحتى الآن نحن ما زلنا متخلفين عن وصفنا السابق؛ فأهالي القصيم كانوا يتباهون باقتنائهم الساعة الشهيرة التي كانت تحمل إشارة الصليب، في حين لا يزال البعض في يومنا هذا يبحث عن إشارات تدل على الصليب أو نجمة داود أو غيرها ليقوم بتحريمها»[1].

هذه هي المنطقة التي يتبارى فيها المختلفون، «ولئن واجهت الدعوة الإصلاحية السلفية فيما مضى من الحروب والمكايد والافتراءات والنقد البريء منه والمدخول وتفوقت

(١) انظر: تركي الحمد، التشدد من جهيمان إلى ١١ سبتمبر فقد المجتمع السعودي ٣٠ عاماً، الوطن، العدد ٣٠٥١، الخميس ١٠ صفر ١٤٣٠هـ، الموافق ٥ فبراير ٢٠٠٩م.

على الحالات تلك؛ فإن الحرب الشرسة في جوانبها الفكرية والإعلامية على هذه الدولة المباركة لم تعد تكتفي بنقض الأصول والقواعد والمنطلقات التي بني عليها هذا المجتمع وعلى أساسها تصاعد وتطور في نموه وتقدمه على مدى ثلاثة قرون، بل تستهدف إرباك وخلخلة منظومة القيم الأخلاقية والاجتماعية، وهدم مشروعية المنهج، وتفكيك الصلة والتواصل والولاء بين القمة السياسية وأطياف المجتمع، ليكون هذا المجتمع - حسب تصوراتهم الفاسدة - مجتمع التعدد، ومجتمع الحرية، ومجتمع الحداثة وفق المفهوم التنويري الليبرالي، أو مجتمع الهجرة والإمارة الإسلامية ودولة الخلافة، حسب المفهوم التكفيري المتطرف»[1].

وفوق ذلك كله، لم يسلم كل ما هو إسلامي من كتاباتهم، وحتى المؤسسة الدينية طالها هجوم مركز متواصل، وطال مرفق القضاء والعلماء وطلبة العلم كل تنقص وازدراء، كما طال المناهج التعليمية وكتب الفقه والتفسير، وأضحى معه

(١) انظر: د. محمد عبد الله العوين، من الوهابية ومروراً بالجامية وإلى الليبرالية: قراءة في أيديولوجيا التخريب والتصنيف، الجزيرة العدد ١٣٢٨٩، الأحد ٢٠ صفر ١٤٣٠هـ الموافق ١٥ فبراير ٢٠٠٩م.

المتابع يشعر بالدوار من كثرة ما يتناولونه بشكل منتظم ومبرمج.

لقد وصفوا كل مخالف لهم بأنه رجعي، وماضوي، وكهفي، ومتخلف، في الفكر والسياسة والثقافة. وكل ذلك هدفه التنقص من التدين الظاهر في المجتمع؛ لأن محاربة الدين تفضح أمرهم، وتبرز منهجهم، وتوضح مقاصدهم فلجأوا إلى ظاهر المجتمع من التدين، احتشاماً وستراً وعفافاً.

إن من أسباب أفول ظاهرة التدين في المجتمع السعودي التي ركز عليها الخطاب الليبرالي في المجتمع ما يلي:

١- الأحداث الإرهابية التي بدأت عام ١٤١٦هـ بحادث تفجير العليا.

٢- أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م.

٣- طبيعة المعالجة للأحداث الإرهابية في المملكة.

وقد انتهج الخطاب الليبرالي في مهاجمته للتدين عدداً من الأساليب منها:

أولاً: المعالجة المؤدلجة ضد التدين.

ثانياً: تراجع الخطاب السياسي عن المفهوم الإسلامي بدءاً من مصطلح «الأمة» و«الدعوة». نعم وبكل وضوح، لم

تعد تسمع آذاننا مصطلحات كـ « الأمة الإسلامية» و«أمة الدعوة»، و«الدعوة الإصلاحية»، «والدعوة السلفية»، ودعوة «الإمام محمد بن عبد الوهاب»، و«تطبيق الشريعة»، وحتى «الدعوة الإسلامية»، بل شاع مكانها مصطلح «العقيدة» ثم «الدين» فـ«الإنسانية»؟!! هكذا عامة، وهذا قلل من العناية بالتدين بقياسات مختلفة تأثراً بأحداث الحادي عشر من سبتمبر.

ثالثاً: محاربة الغلو والتشدد عبر محاربة قيم هي من أصول الدين وثوابته.

رابعاً: التوجه إلى الرموز الإسلامية (علماء، قضاة، دعاة، وطلبة علم)، بالتنقص والانتقاد والازدراء.

خامساً: غياب الرؤية في الخطاب الإعلامي المحلي عن التصدي لكل مسببات الأحداث، وآثار المعالجة المحتملة التي ربما تأتي بالضد وهو عدم التدين، وهذا ما حصل بالفعل من أفول هذه الظاهرة، وذلك من عدة وجوه:

أ- من حيث الرؤية:

ليس لدينا رؤية لما ينبغي أن نكون عليه وليس هناك

تصور نبتغي تحقيقه (تنمويا ووطنيا)؛ ماذا نريد أن ننهض به ؟ ما هي غايتنا الوطنية الكبرى التي نرومها اليوم وغدا ؟ لاشيء سوى أن نسيّر الأمور وهذا مخجل؛ وحتى عندما أردنا معالجة أوضاعنا أمنيا لم نستطع وضع تصور رشيد لمحاربة الإرهاب دون أن نمس تديننا وتقاليدنا الاجتماعية. لقد خلصت دراسة علمية إلى افتقاد إعلامنا إلى «رؤية فكرية واضحة تجاه التغطية الصحفية لمثل هذه الأحداث تنطلق منها الصحف السعودية، فقد لاحظ بعض المبحوثين أن عدداً من هذه الصحف كان مسرحاً للاتهامات التي يكيلها عدد من الكتاب لفئة المتدينين في المجتمع وهو - للأسف - توجه يتعارض مع قيم المجتمع وتوجهاته. وعلى الرغم من تعدد جوانب الطرح الصحفي في هذا الاتجاه وبخاصة في الزوايا والأعمدة الثابتة إلا أنه لا يرتبط بموضوع الحدث، وهو ما يصفه أحد المبحوثين بأنه نوع من تصفية حسابات فكرية سابقة وجدت لها سبباً للمجاهرة والسفور بها»[١].

---

(١) انظر: موقع غيناء للدراسات والإعلام الإلكتروني، التغطية الصحفية لأحداث=

ب- من حيث الأسلوب:

أشاعت وسائل الإعلام، عبر معالجتها للأحداث الأمنية أسلوباً مخلاً كان أثره السيئ بالغاً في مجافاة التدين واستغله المتطرفون بأبشع صورة: «إن العلاج الناجع لموجات التطرف والعنف هو إطلاق موجات مضادة من الإباحية، والانحلال، والفساد تصرف الشباب عن مستنقعات التطرف، وفيما نعلم ليس هناك أي سياسة رسمية من هذا النوع، والسبب بديهي وهو أن الفكرة غبية موغلة في الغباوة، فثمة فكرة أقل منها غباوة جلبت الدواهي على أصحابها، فهناك عوائل عربية إسلامية نهت أبناءها تحت ضغط الخوف عن (التدين) وذلك في أعقاب ١١ سبتمبر، وكانت النتيجة أن انخرط هؤلاء المنهيون عن الصلاة إلى المسكرات والمخدرات»[(١)]. صحيح أننا ولله الحمد لم نصل

= التفجيرات الإرهابية في مدينة الرياض، دراسة كيفية وصفية تقويمية لأداء الصحف المحلية إعداد أ.د محمد بن سعود البشر الأستاذ بقسم الإعلام - كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(١) انظر: زين العابدين الركابي، إطار منهجي أرحب لمناقشة قضايانا، الفضائيات مثلاً، الشرق الأوسط، العدد ١٠٨٨٩، السبت ١٩ رمضان ١٤٢٩هـ، الموافق ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٨م.

إلى ذلك الحد من النتيجة التي صورها الكاتب في مقاله العالي القيمة ولكن الحقيقة أنه لم يكن لنا رؤية إعلامية واضحة للمواجهة وكأن الضد يبرز حسنه الضد كما يقولون؛ لكن في هذه الحالة ليست المقولة صحيحة البتة وقد أشار إلى ذلك أحد علماء المملكة العربية السعودية وإلى خطورة مثل هذه المعالجة حيث طالبها بقوله: «على وسائل الإعلام المختلفة أن تكون موضوعية بحيث لا يكون هناك استهزاء بالمتدينين أو أهل الدين أو يتخذوا هذا الموضوع تصفية حسابات بينهم وبين غيرهم، كل من لم يرغبوا فيه جعلوه منسوباً إلى الغلو وجعلوا فعله وقوله من الغلو، حينئذ لا بد من الرجوع إلى الأدلة الشرعية وإلى علماء الشريعة في تحديد الغلو، كذلك من معالجة الغلو عدم السماح بما ينشر في الوسائل الإعلامية من تصوير المخالفات الشرعية على أنها أمور طبيعية، بحيث يوجد ردة فعل لدى بعض الناس تجعله يسلك مسلك الغلو وهو ما حذّرت منه الشريعة ونهت عنه»[1].

---

(١) الاقتصادية، العدد ٥٣٥٩، الشيخ د. سعد الشثري، التحزب وجعل الناس أحزاباً وشيعاً مزق الأمة المسلمة، الجمعة ١٣ يونيو ٢٠٠٨م.

جـ- من حيث الأثر:

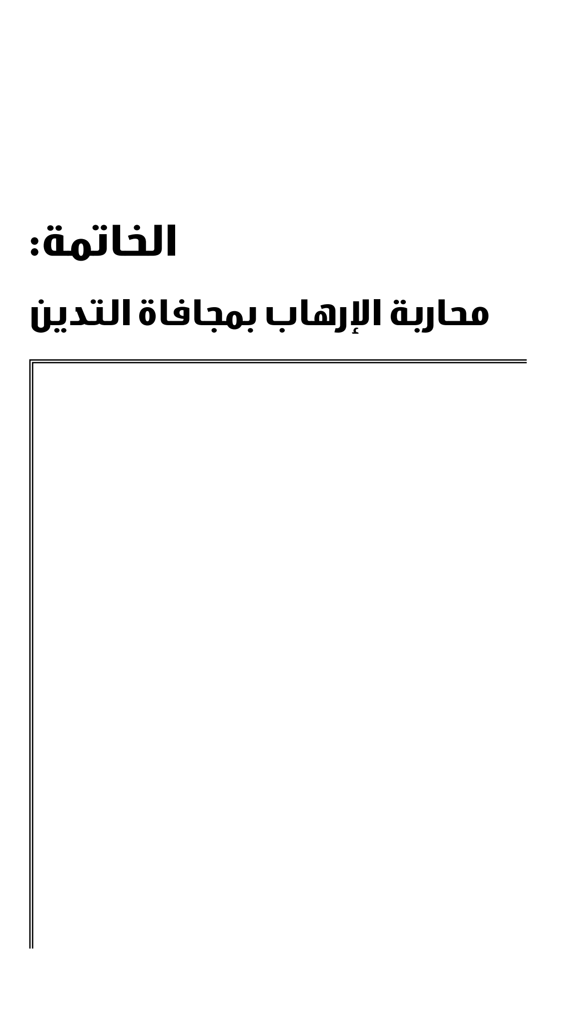
نعم لقد نجحنا في محاربة الغلو والتشدد والتطرف والانحراف «أمنياً» ولكننا أسهمنا في أفول ظاهرة التدين. «إن للإعلام السيئ المنفلت أثراً تدميرياً في تفشي الجريمة، ونشر الإباحية، وتفكيك الأسرة، وتدني قدرة الأطفال واليافعين والشباب في حقل التحصيل المعرفي، وفي صناعة رأي عام يقترب من حالة البلاهة في تلقي الإعلام، والآراء السياسية، والشحن الأيديولوجي، والجنوح إلى التفاهة في التفكير والاهتمام)[١].

إذن بكل وضوح أخفقنا في إيجاد رؤية وانهزمنا في أن ننتهج أسلوباً راشداً وخرجنا بمعالجة خاطئة لمشكلاتنا كانت فيه الأسرة وأفرادها والمجتمع في حيرة من تدينه.

(١) انظر: زين العابدين الركابي، إطار منهجي أرحب لمناقشة قضايانا، مرجع السابق

الخاتمة:

محاربة الإرهاب بمجافاة التدين



ما برح معول الإعلام الخاص الرديء يهد من تديننا، ويسعى إلى تعطيل مسيرة الطهر والخير بيننا، ويشيع لكل ما من شأنه طمس الهوية والقضاء على الخصوصية.

سم ما يقوم به هذا الإعلام ما شئت: بغياً، أو عهراً، أو مسخاً، أو استلاباً، وسم القائمين عليه مرتزقة، أو مردة أو تقدميين أو ليبراليين، أو مستغربين، أو شلة...

وهذا الفضاء المفتوح والسماوات المليئة بالأقمار واللواقط والقرية الكونية الكبيرة أضحى يمور بالشائه وجوهاً وفكراً في كل اتجاه، ونحو كل صوب؛ ولكن ما تبثه هذه الوسائل الإعلامية، يدعو إلى التساؤل:

ماذا يخدم هذا الصنف من الإعلاميين، وماذا يبتغون:

- خلخلة الثابت والمعلوم من الدين بالضرورة.

- التمادي في نقد المقدس الديني عند المسلمين، والتواطؤ مع الأجنبي في ذلك.

- العزف على أوتار الظلامية والرجعية.

- الترويج لمصطلح التنوير، ومرادفاته.

- إثارة القضايا الاجتماعية المتفق عليها.

- ترتيب أوليات الخبر السياسي بما يخدم (أو لا يتعارض) مع المصلحة الأمريكية.

- التسويق للنموذج الغربي في بلاد المسلمين، والدعوة إلى تطبيقه واقعاً معيشاً[١].

- إيقاظ الفتنة النائمة والعبث بأمن الوطن الفكري.

هذا هو النموذج الرديء من الإعلام المملوك لرجال أعمال سعوديين، والموجه إلى أبناء المملكة العربية السعودية، يحمل كل إسفاف ويدعو إلى ابتذال كل قيمة دينية أو اجتماعية؛ والمجتمع بأطيافه يتلقى ذلك ليل نهار، ولا يشك أحد أنه يتأثر بما يتلقى سياسياً، واقتصادياً، وإدارياً، واجتماعياً، ودينياً، وربما يستجيب لما يتلقفه عنها، أو على الأقل يصدم في ثوابته أو حياته المعيشة.

هذا هو الغالب في هذا المجال؛ وإعلامنا الخاص خاو

(١) انظر: أ.د. محمد بن سعود البشر، تحولات النخب، ص٨٨، دار غيناء للنشر، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

من كل قيمة، وفارغ من كل مبدأ سوي؛ وليس له وجهة يبتغيها؛ ولا قبلة يتوجه إليها سوى إغواء الشباب وإفساد أذواقهم، والتنقص من تدينهم. وهذا ما سار عليه إعلامنا (الخاص) مع الأسف الشديد، عبر معالجاته للأحداث السياسية والفكرية، التي قام بها متعاوناً مع مفكرين ومثقفين وإعلاميين سعوديين أسهموا - بقصد أو بغير قصد - على إبعاد مجتمعنا عن سمته العام وتدينه الأصيل، و«لئن كان الغلو في الدين قد أحدث أثراً ظاهراً، فإن التفريط في الدين وتبني التوجهات الفكرية والثقافية الغربية على نسيجنا الاجتماعي لا يزال يحدث أثراً خفياً ينخر ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً ليقوض البنيان...»[١].

ومن يقرأ هذه الدراسة عن حالة التدين في المجتمع السعودي بكل جوانبها السابقة، يدرك تماماً أن غياب الرؤية المنهجية في معالجة قضايا الغلو والتشدد والإرهاب هو الذي أوجد مثل هذه الطروحات الغريبة وتناميها؛ بحجة شيوع ثقافة حرية الرأي وحرية التعبير، ولكن هذه المبادئ

(١) انظر: ص ١٠٧ تحولات النخب، مرجع سابق.

الأصيلة لا بد لها من تقييدات ومحددات وضوابط حتى لا تخدش مبدأ اجتماعياً ولا مثالاً أخلاقياً؛ فكيف وقد تنكرت لثابت من الدين بالضرورة وخاضت في سامق من المقدس لدى المسلمين؟!

ومن هنا فإننا نبتغي في كل ما قدمناه إيضاح حقيقة واحدة؛ إن مجتمعنا السعودي لا يقبل إلا الدين، ولا يرغب سمتاً له إلا التدين؛ ومهما حاولنا بكل جهد فكري أو إعلامي أو ثقافي أن نزحزحه عن ثوابته الدينية فإن مصيرنا الفشل؛ نعم قد ضعف التدين أو تراجع كما هو حاصل الآن، وهذا خطره واضح على المجتمع ومفاصله التي تأثرت في انتشار السلوكيات الخاطئة، المبتذلة المنبعثة من الداخل على أيدي البعض والمدعومة من الخارج المتربص بنا.

نحن في خير من تديننا؛ ولكن هذه الدراسة تبتغي الخير وتحذّر من وقوع الشر وحتى لا يأتي ماهو أشر وأكبر وحينها قد لا تكون لنا طاقة في رده كما عبر مفكر إسلامي كبير عن ذلك بقوله: «إنه ما مر بنا عهد – على كثرة ما مر من عهود – إلا بكينا فيه منه، وبكينا بعده عليه؛ أفقدر علينا أن نستكبر الشر فنأباه، ثم نرى ما هو أشر منه فنطلبه

فيأبانا؟»[1].

وما لم نتنبه إلى خطورة وضعنا هذا؛ وخطورة ما آل إليه كل بيت سعودي بمثل هذه المعالجة الخاطئة؛ فإنني أقول بكل صراحة: إن ما أنفق من مال في مكافحة التشدد والغلو، سوف نعيد إنفاق مثله أو أضعافه لإعادة التدين إلى المجتمع السعودي وعسى أن ننجح.

وأخيراً ... بعد هذا الاستعراض لظاهرة التدين في المجتمع السعودي وانحسارها ومحاولة تقصي أسباب ذلك ثمة بعض المقترحات التي ينبغي القيام بها حيال هذه المشكلة الخطيرة:

أولاً: إعداد خطة استراتيجية واضحة لتأكيد منهجنا الإسلامي القويم في نفوس ناشئتنا وأجيالنا القادمة على مستوى الوطن كله، تشارك فيها كل الجهات المؤثرة في المجتمع تربوياً، وإعلامياً، واجتماعياً، وأمنياً، واقتصادياً.

ثانياً: أن تنهض المؤسسة الدينية، ممثلة في وزارة الشؤون الإسلامية والجامعات، ودار الإفتاء، وعلماء البلد

---

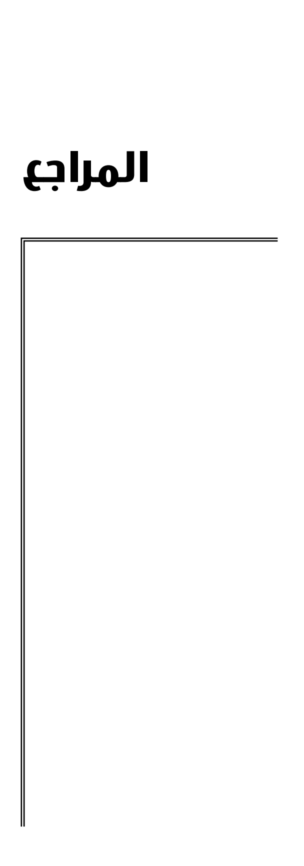
(١) انظر: ذكريات علي الطنطاوي، الجزء الأول، ص ١٦٨، مكتبة دار المنارة للنشر، جدة، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

ومفكروه، والمؤسسات الخيرية الرسمية والأهلية... ببرامج دعوية على مستوى الوطن الإسلامي تبرز مكانة المملكة العربية السعودية؛ لا أن نترك الساحة لغيرنا ثم نجد أنفسنا خارج الرؤية لمنهجنا، وتصورنا الصحيح.

ثالثاً: أن تقوم المؤسسة التربوية، خصوصاً الجامعات المتخصصة كالجامعة الإسلامية، وجامعة الإمام، وجامعة أم القرى، بواجبها في تأصيل المنهج الإسلامي في الإعلام، والاقتصاد، والاجتماع؛ وأن تعنى بمهمتها الرئيسة وهي خدمة العلم الشرعي واللغة العربية، لا أن تثقل كاهلها بالعلوم الإدارية والطب وسواها لأن تخصصها فيما أنيط بها هو الأساس وهو جزء من رسالتنا الوطنية والإسلامية.

رابعاً: نحن بلد إسلامي (رسالة، ومقراً، وقبلة، وهوية) وهذا هو تميزنا لا غير، ومن هنا يتأكد لنا سياسة وديبلوماسية (ممارسة وخطاباً وحراكاً) أن نلتزم هذا المنهج وأن نقف معه وبه، وأن يكون هو خطابنا الداخلي، والخارجي، والعالمي، وعندما نمتثل لهذا ونمارسه فكل بعد عالمي، وإنساني، سوف يكون تحصيل جهد وطني مركز.

المراجع



القرآن الكريم

الكتب :

- عبد الله بن إبراهيم الطريقي، النظام السياسي للسعودية، دار غيناء للنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م .
- مجموعة مؤلفين، الإصلاح المجتمعي، دار غيناء للنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- مجموعة مؤلفين، المرأة في السعودية: رؤية عالمية، دار غيناء للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- محمد بن سعود البشر، تحولات النخب، دار غيناء للنشر، الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م .
- محمد عمارة، الإسلام والمستقبل، دار الشروق، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.
- وسام فؤاد، التدين الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.

الدراسات :

- تدين السعوديين؛ دراسة مركز أسبار للدراسات والبحوث

والإعلام، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

- محمد بن سعود البشر، التغطية الصحفية لأحداث التفجيرات الإرهابية في مدينة الرياض، دراسة كيفية وصفية تقويمية لأداء الصحف المحلية، موقع غيناء للدراسات والإعلام الإلكتروني.

الدوريات:

- تركي فيصل الرشيد، لم لا نسعى لمجتمع غير منحرف؟ جريدة الوطن السعودية، عدد ٢٨٧١، السبت ٨ شعبان ١٤٢٩هـ الموافق ٩ أغسطس ٢٠٠٨م.

- جريدة الاقتصادية، عدد ٤٩٢٨، الموافق ٢٠٠٧/٤/٩م.

- جريدة الاقتصادية، عدد ٥٣٥٩، الجمعة ١٣ يونيو ٢٠٠٨م.

- جريدة الرياض، عدد ١٢٨٧١، الخميس ١٩ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ - الموافق ١٥ يونيو ٢٠٠٦م.

- جريدة الرياض، عدد ١٤٥٧٧، الخميس ١٧ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ الموافق ٢٢ مايو ٢٠٠٨م.

- جريدة الرياض، عدد ١٤٥٩٩، الجمعة ٩ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ الموافق ١٣ يونيو ٢٠٠٨م.

- جريدة الرياض، عدد ١٤٧٢٠، الأحد ١٢ شوال ١٤٢٩٨هـ، ١٢ أكتوبر ٢٠٠٨م.

- جريدة الشرق الأوسط، عدد ١٠٧٧٧، السبت ٢٦ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ الموافق ٣١ مايو ٢٠٠٨م.

- جريدة الشرق الأوسط، عدد ٩٣١٠، الثلاثاء ٦ ربيع الآخر ١٤٢٥هـ ٢٥٢ مايو ٢٠٠٤م.

- جريدة الشرق الأوسط، عدد ١٠٥٨٢، الثلاثاء ١٠ ذو القعدة ١٤٢٨هـ، ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٧م.

- جريدة الشرق الأوسط، عدد ١٠٦٦٥، السبت،٢صفر ١٤٢٩هـ ٩ فبراير ٢٠٠٨م.

- جريدة الشرق الأوسط، عدد ١٠٨٣٩، الجمعة ٢٩ رجب ١٤٢٩هـ الموافق ١ أغسطس ٢٠٠٨م.

- جريدة الشرق الأوسط، عدد ١٠٩٨٠ السبت ٢١ ذو الحجة١٤٢٩هـ الموافق ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٨م.

- جريدة الوطن السعودية، عدد ٢٧١١، الأحد ٢٤ صفر ١٤٢٩هـ - الموافق ٢ مارس ٢٠٠٨م.

- جريدة الوطن السعودية، عدد ٣٠٥١، الخميس ١٠ صفر ١٤٣٠هـ، الموافق ٥/٢/٢٠٠٩م.

- جريدة الوطن السعودية، عدد ٣٠٥٧، الأربعاء ١٦ صفر ١٤٣٠هـ، الموافق ١١ فبراير ٢٠٠٩م.

- جريدة الوطن، العدد (٣٠٥٧) الأربعاء ١٦ صفر ١٤٣٠هـ الموافق ١١ فبراير ٢٠٠٩م.

- جريدة الوطن، عدد ٣٠٥١، الخميس ١٠ صفر ١٤٣٠هـ، الموافق ٥ فبراير ٢٠٠٩م.

- جريدة عكاظ، عدد ٢٧٥٣، الثلاثاء ١٤٣٠/١/٢هـ الموافق ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٨م.

- جعفر شيخ إدريس، علاج الانفراط العظيم، مجلة البيان، عدد شعبان ١٤٢٠هـ.

- زين العابدين الركابي، إطار منهجي أرحب لمناقشة قضايانا، الفضائيات مثلاً، جريدة الشرق الأوسط، عدد ١٠٨٨٩، السبت ١٩ رمضان ١٤٢٩هـ، الموافق ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٨م.

- محمد حسين الذهبي، الدين والتدين، مجلة البحوث الإسلامية السعودية، العدد الأول١٣٩٥ هـ.

- محمد عبد الله العوين، من الوهابية ومروراً بالجامية وإلى الليبرالية: قراءة في أيديولوجيا التخريب والتصنيف، جريدة الجزيرة، عدد ١٣٢٨٩، الأحد ٢٠ صفر ١٤٣٠هـ الموافق ١٥ فبراير ٢٠٠٩م.

- محمد عبد الله العوين، نحن في مواجهة متطرفين: تكفيري ظلامي، وليبرالي تغريبي، جريدة الجزيرة، عدد ١٣٢٧٢، الخميس ٣ صفر ١٤٣٠هـ ٢٩ /١/٢٠٠٩م.

- محمد عبد الله العوين، وللانفتاح أيضاً مرارته: جيل تائه ممسوخ، جريدة الجزيرة عدد ١٨٢٨٤، الثلاثاء ١٥ صفر ١٤٣٠هـ الموافق ١٠ فبراير ٢٠٠٩م.

- معجب الزهراني، الـ تشادور والعباءة، جريدة الرياض، عدد

١٢٥٨٦ ، الخميس ٥ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ ١ يونيو ٢٠٠٦م.

- نادر المتروك، نهاية التدين وما بعد التدين، صحيفة الوقت البحرينية، عدد ٤٥٩، الجمعة ٨ جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٥ مايو ٢٠٠٧م.